الدعوة العباسية ودور العرب فيها

دكتورة

إكرام محمد إبراهيم الحجيلان

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد،

رئيسة قسم التاريخ

كلية الآداب للبنات/الرياض

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحجيلان، إكرام محمد إبراهيم

الدعوة العباسية ودور العرب فيها. -الرياض.

٢٣٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨ - ٥٧٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠

١ - الدولة العباسية - تاريخ أ- العنوان

ديوي ٩٥٣,٠٤ ٢٠/١٧٣١

ردمك: ٨ - ٥٧٣ - ٢٠ - ٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٢٠/١٧٣١

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

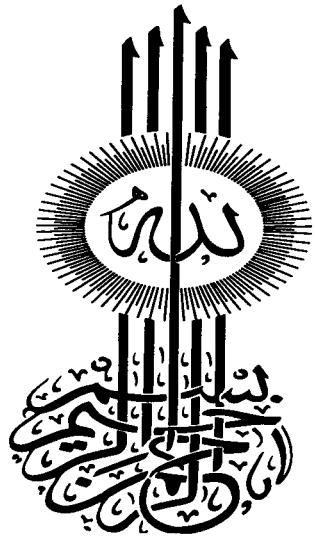

شكر وامتنان

إليك يا أستاذي الجليل

يا من رسمت لي الطريق
وكنت لي فيه الدليل
وجلوت مني العقل حتى
صار كالسيف الصقيل
وسقيتني التاريخ من
عين تسمى سلسبيل
ماذا أقول وهل يفي
بجميلك القول الجميل
إن الكلام يزول و
الفضل الذي لك لا يزول

الباحثة

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين . . . والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين .

وبعد ...

فقد بايع العباسيون بني أمية فور تولي معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - مقاليد الخلافة، وظلت العلاقة على ما يرام بين هذين البيتين طوال العهد السفياني وشطراً من العهد المرواني، حتى تزوج علي بن عبدالله مطلقة عبدالملك فانفتحت أبواب العداوة بين البيتين. وجاء سليمان بن عبدالملك فاتهم علياً بقتل أخيه سليط، فأغرمه وضربه وأخرجه من دمشق إلى الحميمة. (*)

وكان طبيعياً أن يزيد هذا العمل من سليمان العلاقة بين البيتين وهناً على وهن، وأن يغري العباسيين بالنيل من بني أمية، والسعي الجاد لإزالة سلطانهم وإسقاط دولتهم.

وجاء عمر بن عبد العزيز، فنشر العدل، وطارد الظلم، وبسط رواق الحرية أمام المسلمين.

وانتهز العباسيون هذا المناخ الطيب واعتبروه فرصة لم يدعوها تفلت

(*) قرية في جنوب الأردن.

من أيديهم. فبدؤوا دعوتهم في العام المكمل للمائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم -، وكانوا من الذكاء والدهاء السياسي بمكان، فأحسنوا اختيار المكان والزمان، وأحسنوا اختيار المساعدين والأعوان، وخططوا لدعوتهم تخطيطاً عبقرياً بالغ العمق والدقة.

وقد مرت دعوتهم هذه عبر مراحل ثلاثة: وكانت أولاها سرِّيَّة، وكانت الثانية جهرية، أما الثالثة والأخيرة فكانت للحرب والضرب وانتزاع ما تحت أيدي الأمويين بالقوة.

وفي خلال اثنتين وثلاثين سنة من العمل الجاد والكفاح المتواصل استطاعوا أن يدركوا الهدف، ويبلغوا الغاية، ويقيموا لأنفسهم خلافة ظلت ألويتها خفاقة على العالم الإسلامي أكثر من خمسمائة سنة.

ولخطورة هذا الموضوع وأهميته، فقد تناولَتْه أقلامٌ كثيرةٌ من الشرق والغرب غير أنها لم توفه حقه من البحث والدرس والاستقصاء.

والسبب في هذا هو أنها لم تتناوله بطريقة أكاديمية تبسط الروايات وتحللها، وتوازن بينها وتصدر أحكامها التاريخية على أسس العلم وقوانين المنطق.

وهذا هو أحد الأسباب التي من أجلها اخترت هذا الموضوع، وثم أسباب أخرى كثيرة منها:

إماطة النقاب عن أسرار دعوة بني العباس، والتخطيط العبقري الذي وضعوه لها.

ومنها الرغبة في أن أثبت للذين يتحاملون على العرب، ويدَّعون أنهم لا يملكون القدرة على إقامة الدول، وإنشاء الممالك عكس ما ذهبوا إليه.

ومنها أنني أريد أن أثبت بالدليل أن العباسيين قد راعوا الدين في كل خطوة من خطوات هذه الدعوة، ولم تكن الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وإبطال ما يدعيه المستشرقون من أن الدين لم يكن شيئاً أساسياً في إدارة شؤون دعوتهم.

وثم سبب خامس لا سبيل إلى إغفاله، ولا أغض الطرف عنه وهو إثبات أن ما أسهم به العرب في الدعوة العباسية لم يكن أقل مما أسهم به الفرس فيها. وذلك عكس ما هو معروف من أن هذه الدعوة قد قامت على كواهل الموالي وبسواعدهم وسيوفهم.

ولكي أسير في جمعي لمادة هذا الموضوع وكتابته سيراً سليماً لا عوج فيه ولا انحراف، فقد وضعت لنفسي منهجاً وألزمتها باتباعه قدر الاستطاعة، فاقتصرت في جمعي للمادة على المصادر الأصيلة والوثيقة الأقرب منها إلى الأحداث فالأقرب.

وقدمت المصادر المعتمدة على الطرق والأسانيد على غيرها مما ليست لها هذه الميزه الهامة.

ولم أجمع مادتي من هذه وتلك كيفما اتفق، وإنما أنعم النظر في الروايات المختلفة، والأخبار المتعددة وأختار منها ما كان أدنى إلى الحق، وأقرب إلى الصواب والصدق.

ولا أكتفي بهذا وحسب، ولكنني أنسب الكثير من الروايات إلى

رواتها، والأخبار إلى قائليها، وذلك حتى يسهل عليَّ الترجيح بين خبرٍ وخبر، وبين رواية ورواية.

وبالنسبة للمراجع والكتب الحديثة، فإنني لا أرجع إليها في التأريخ للحوادث ولكن بإيثار رأي على رأي، وترجيح وجهة نظر على أخرى. فإن بعض هذه الكتب قد لا تتوخى الدقة، بل ولا الأمانة في تسجيلها للحوادث ولا في تحديد أزمنتها وأمكنتها.

وفي مرحلة الكتابة فإني قد اعتمدت على بسط الروايات، ومقارنة بعضها ببعض، وإصدار الحكم التاريخي بناء على هذا العرض وهذه المقارنة والموازنة.

ووقفت طويلاً أمام آراء المستشرقين ومن نسجوا على منوالهم لإظهار ما فيها من التجني والافتراء، ومناقشته في إنصاف وحيدة وإبداء رأيي بعد هذا كله مشفوعاً بالحجة ومدعوماً بالدليل.

وفي ترتيبي لمصادري في هوامش البحث، توخيت أن يكون وفقاً لوفاة المؤلفين، وذلك حتى يعرف القارئ وفي سهولة أي هذه المصادر أقرب إلى ساحة الأحداث، وأيها أبعد.

ولم أدع في الأصل مدينة ولا قرية إلا وأكتب عنها إلماعة موجزة حتى يكون القارئ على علم بالأمكنة التي وقع فيها الحدث الذي أؤرخ له. ونسجت على هذا المنوال نفسه بالنسبة للأشخاص، فترجمت لكل شخصية تمر في المتن معتمدةً على أوثق المعاجم المتخصصة في هذا المجال. وحتى الأشخاص الذين لم أعثر على ترجمة لهم في المصادر التي تحت يديَّ، فإني

أكتب لها ترجمة مما كتبته عنها كتب التاريخ .

وهدفي من هذا هو : أن يعرف المطَّلع على هذا البحث قيمة الأشخاص الذين أكتب عنهم من جهة ، ومدى تأثيرهم في الأحداث التي أؤرخ لها من جهة ثانية .

وبالنسبة للأسلوب الذي كتبت به هذا البحث ، فإني قد آثرت أن يكون سلساً رقيقاً حلو العبارات . وذلك لأن الأساليب العلمية الجافة تصرف القارئ عن المتابعة ، وتجعل الملل يتسرب إليه ، ولَّما يقطع غير جزء يسير منه .

ويبقى التخطيط لموضوع هذا البحث وهو يشتمل على مقدمة وأربعة فصول ، وخاتمة .

فأما المقدمة فقد ضمنتها ثلاث نقاط وهي :

١- أسباب اختياري لموضوع البحث .

٢- المنهج الذي التزمته في جمع مادته وكتابته .

٣- المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في التجهيز له ثم إخراجه .

وأما الفصل الأول : فقد جعلت له العنوان التالي : (العلاقة بين الأمويين وبين الهاشميين ، والعباسيين حتى بدء الدعوة)

وقد ضمنته ثلاث فقرات.وهي :

١- العلاقة بين الأمويين والهاشميين في الجاهلية وعصر الرسول ، صلى الله عليه وسلم .

٢- العلاقة بينهما في عصر الراشدين رضي الله عنهم.
٣- وأخيراً العلاقة بينهما حتى بدء الدعوة.

والفصل الثاني وعنوانه: (مراكز الدعوة العباسية وجهازها السِّرِّيّ) وهو يحتوي على فقرتين أساسيتين:

١- مراكز الدعوة وهي: الحميمة - والكوفة - وخراسان - والحجاز.
٢- جهازها السري: ويتضمن الحديث عن الإمام ونوابه في كل من العراق وخراسان، والدعاة السبعين ونقبائهم الاثني عشر.

ويبقى الفصلان الثالث والرابع: فأما الثالث فعنوانه: (المرحلتان السرية والعلنية من الدعوة العباسية) ويتضمن نقطتين:

١- المرحلة السرية من الدعوة.
٢- المرحلة العلنية.

والفصل الرابع وعنوانه (مرحلة الفتح وقيام الدولة العباسية) ويحتوي ثلاث نقاط وهي:

١- الفتح.
٢- وقيام الدولة.
٣- ومبايعة أبي العباس السفاح.

وتبقى النقطة الثالثة في هذه المقدمة وهي: المصادر والمراجع التي استقيت منها مادة هذا البحث، وقد رجعت فيه إلى مصادر شتى، ومراجع متعددة تربو على السبعين، غير أن الكتب التي قرأتها ليست في منزلة

واحدة ولا هي ذات قدر واحد، وإنما هي مختلفة فمنها الأهم والمهم، ومنها المعاصر للأحداث والأكثر معاصرة لها، ومنها ما اعتمدت عليها بصفة أساسية ومنها ما اعتمدت عليه عندما لم يسعفني غيره، وما لم أعتمد عليه إلا في ترجيح رأي على رأي، أو وجهة نظر على أخرى مخالفة لها.

ولهذا فإنني سوف لا أعرِّف بكل ما ورد من هذه المصادر في هوامش هذا البحث، وإنما سأقصر هذا التعريف على الأساسي منها والأصيل دون غيره.

أما الكتب الحديثة فإني سوف لا أعتمد عليها قط في التأريخ للأحداث وإنما سوف أستعين بها في عرض آراء الباحثين المختلفة وإيثار البعض منها على البعض الآخر.

وقد كان اعتمادي بعد القرآن الكريم على:

تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

وقد ولد هذا المؤرخ في العام الرابع أو الخامس والعشرين بعد المائتين، وتوفي في العام العاشر بعد الثلاث مائة.

وبدأ حياته هذه الطويلة بحفظ القرآن الكريم، ثم راح يضرب في كل جانب من جوانب العلوم التي كانت سائدة في عصره حتى برز فيها، وبلغ الإمامة والصدارة في الكثير منها. وقد تحدث عن نفسه فقال: حفظت القرآن لسبع، وصليت بالناس لثمان، ورآني أبي في منامه بين يدي النبي - عليه الصلاة والسلام -، وأنا أرمي بحجارة من كيس لي فأوَّل المؤولون

ذلك بأني سوف أذب عن ديني، وأدافع عن شريعتي.

وقد تحققت هذه الرؤيا فكان الطبري إماماً في التاريخ والفقه، وإماماً في الحديث والتفسير.

وكتابه الذي أعرِّف له هو تاريخ (الأمم والملوك) أو تاريخ (الرسل والملوك) وقد انتظم هذا الكتاب التاريخ من لدن آدم - عليه السلام - حتى العام الثاني أوالعاشر بعد الثلاث مائة على خلاف في ذلك بين الباحثين.

وقد جمع الطبري في هذا الكتاب أنقى وأصدق ما عرفه العلماء إلى عصره في التاريخ معتمداً في كل مرحلة من مراحله على أوثق رواتها، وأصدق طرقهاوأسانيدها، وتميز دون غيره بأمور:

منها: أنه قد استقى معلوماته من رواة شتى، ومدارس مختلفة، وكان يروي الحادثة الواحدة بطرق كثيرة تعين على المقارنة والموازنة، وإصدار الحكم التاريخي الصائب بعد ذلك.

ومنها: أنه لم يكن يروي عن كل من اتفق له، وإنما كان ينتقي ويتميز، ولا ينقل عن الأعم الأغلب إلا عن العدل الثقة المعروف بين العلماء بالحفظ والضبط.

ومنها: أنه لم يكن يعلق على الحوادث بتصويب أو بتفنيد، وإنما كان يترك هذا لمن يأتي من بعده حتى يرجح ما يرجح في طمأنينة وحرية، ولم يجمع الباحثون على شيء ما أجمعوا على أن كتاب الأمم والملوك هذا الذي حفظ لنا تاريخ الدولة الأموية منذ قيامها في العام الحادي والأربعين حتى

سقوطها في العام الثاني والثلاثين بعد المائة .

وأنه لولاه لَلَفَّ الظلام الدامس تاريخ هذه الحقبة ، وهذا هو أحد الأسباب الذي من أجلها آثرته على غيره ، وقدمته على ما سواه من المصادر التاريخية كافة . وقد أفادني هذا الكتاب في بحثي كله من بدايته حتى نهايته .

فقد جمعت ما رواه الطبري حول دعوة بني العباس ودرسته دراسة متأنية مقارنة وموازنة بين الطرق الثلاثة التي نتناول من خلالها الدعوة العباسية وهي : طريق أبي الخطاب ، وطريق المدائني ، وطريق لم يسمِّ رواته .

هذا بالإضافة إلى ما أسنده هو إلى نفسه ، ووازنت هذا كله بعضه ببعض في كل قضية احتواها هذا البحث تقريباً .

والمصدر الثاني هو (تاريخ اليعقوبي) :

واليعقوبي هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي .

وهو من أول المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في الدول وفي العهود ، وكان معاصراً للطبري ، وهو مؤرخ ورحالة ، وكتابه في التاريخ يتألف من جزأين :

الأول : في التاريخ القديم ، عبَّر فيه عن فكرة التاريخ العالمي في العصور السابقة على الإسلام ، وفي التاريخ الإسلامي حتى سنة (٢٥٩هـ) متتبعاً في كتابه التسلسل التاريخي للأحداث .

ويبدأ في هذا الجزء بالخليقة، وتاريخ الأنبياء، وتاريخ الفرس القديم، وتاريخ العرب في الجاهلية، وتاريخ البابليين والآشوريين والهنود واليونان والروم، وتاريخ المصريين والبربر والأحباش، والزنوج والترك والصينيين.

والثاني: أفرده للتاريخ الإسلامي، ورتبه حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل الأحداث على السنين، فبدأ بمولد الرسول ﷺ ومغازيه حتى وفاته، ثم تتبع تاريخ الخلفاء حتى المعتمد العباسي.

ومع أن تاريخ الطبري، وتاريخ اليعقوبي قد انفردا عن غيرهما من الكتب المعاصرة لهما بتسليط الأضواء الكثيرة على الدولة الأموية منذ قيامها في العام الحادي والأربعين حتى سقوطها في العام الثاني والثلاثين بعد المائة من هجرة النبي - ﷺ -، فإن تاريخ الطبري قد امتاز عليه بذكر الطرق والأسانيد عند رواية كل حدث، بينما اكتفى اليعقوبي بذكر الذين اعتمد عليهم في بداية تاريخه.

وقد أفادني هذا الكتاب كثيراً، لأنه كان يروى الحوادث ويصورها بلسان الشيعة أنفسهم حيث إن اليعقوبي كان ذا نزعة شيعية واضحة.

وقد كنت أوازن بين ما جاء فيه، وما جاء في تاريخ الطبري، وأصل من وراء هذه الموازنة إلى الحكم التاريخي الذي إن لم يكن هو الصواب فإنه يقاربه.

والمصدر الثالث هو (الأَخبار الطوال):

لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري، وقد ولد هذا المؤرخ في العقد

الأول من القرن الثالث الهجري بمدينة دينور، من أعمال العراق العجمي، ونشأ في أسرة من أصل فارسي، وقد عاش معظم حياته في مدينة دينور، وأمضى شبابه في الرحلات، وقادته خطواته إلى قلب الحضارة العربية في بلاد ما وراء النهرين دجلة والفرات، ثم امتدت به أسفاره الى المدينة المنورة، وإلى الأرض المقدسة فلسطين، وإلى شواطئ الخليج العربي فعاش فيها أزماناً طالت أوقصرت، ولكنها تركت في نفسه ذكراً وفي فكره علماً.

وقد أخذ أبو حنيفة دروسه عن البصريين والكوفيين، وتتلمذ في فقه اللغة على النحوي الكوفي ابن السكيت، وعلى أبيه من قبله، ودرس معارف كثيرة، وكان مفتناً في علوم النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب، ثقة فيمايرويه وما يمليه.

وقد كانت لأبي حنيفة عدة مؤلفات قيمة حظيت بعناية رجال التراجم قديماً وحديثاً، وقد دونوا قائمتها في كتبهم وفي مصنفاتهم، وبلغت جملتها عشرين كتابًا حققها المستشرق فليجل، وقد ذكرها القفطي في كتاب إنباه الرواة على أنباء النحاة، ومن أهم هذه الكتب كتابه (الأخبار الطوال).

وقد راعى أبو حنيفة في كتابه هذا التسلسل الزمني في التاريخ، ولكنه انتقى الأخبار وفقاً لمفهوم خاص في التاريخ العالمي، فتوسع في الحوادث والحركات التي اختارها مما جعل كتابه أقرب إلى أن يكون سلسلة أخبار يلتصق بعضها ببعض لتتوازن مع التاريخ الإيراني.

واهتم أيضاً بتاريخ الرسل كثيراً، وهو يقدم صوراً متوازنة لتاريخ اليمن والجزيرة وبيزنطة، ويتوسع في تاريخ فارس، وبعد الإسلام يمر بفترة

الرسالة المرور السريع ليركز اهتمامه على تاريخ العراق وإيران.

ومنهج أبي حنيفة أن يهمل الأسانيد الطويلة، ويؤثر السرد الروائي المتصل مقحماً فيه الكثير من الشعر حتى لقد تتبادل الفرق والأحزاب الرسائل عنده شعراً.

وقد استفدت من هذا الكتاب استفادة كبيرة حيث إنه يمثل وجهة النظر الفارسية بالنسبة للدعوة العباسية.

كما أن هذا الكتاب قد أمدني بالكثير من المعلومات الهامة والقيمة فيما يتصل بالدعوة العباسية، والرجال الذين قاموا بها، والتطورات والأحداث التي ارتبطت بالدعوة وبتلك الفترة التي قامت بها.

والمصدر الرابع هو (جمهرة أنساب العرب):

لأبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف ابن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي، مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب، القرشي الولاء، الأندلسي الدار.

ولد بقرطبة من بلاد الأندلس في شهر رمضان سنة (٣٨٤ هـ) وكانت وفاته لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة. وقيل: إنه توفي في منت ليشم، وهي قرية كانت ملكاً له، وكان يتردد إليها كما ذكر ابن خلكان.

وقد عمل ابن حزم وزيراً للخليفة المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام، ثم وزيراً للخليفة هشام المعتمد بالله بن محمد بن عبد الملك الناصر.

ثم نبذ الوزارة وأقبل على العلم فطلبه أشد ما يكون الطلب.

وكان حافظاً لعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، ضارباً بسهم وافر في المعرفة بالسير والأخبار.

وسمع ابن حزم سماعاً جماً، وجمع من الكتب شيئاً كثيراً، وألف قدراً كبيراً في مختلف العلوم لم يصل إليه أحد قبله فيه، إلا ما كان من أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه كان أكثر أهل الإسلام تصنيفاً.

وقد درس في أول أمره فقه المالكية، كما قرأ الموطأ، ثم درس مذهب الشافعي وتعصب له، ثم انتقل بعده إلى مذهب داود بن علي بن خلف (الظاهرية) الذي كان أكثر الناس تعصباً للشافعي.

وقد عمل ابن حزم على تنقيح مذهب داود، ثم اتخذ لنفسه مذهباً خاصاً وأقوالاً تفرد بها.

وقد قرأ ابن حزم على أبي عمر أحمد بن الحسين، ويحيى بن مسعود، ويونس بن عبد الله القاضي، ومحمد بن سعيد بن ساني وعبدالله بن الربيع التميمي، وعبدالله بن يوسف بن تامي وغيرهم.

وروى عنه أبو عبدالله الحميدي صاحب (جذوة المقتبس) فأكثر الرواية عنه، كما روى عنه بالإجازة سريج بن محمد بن سريج المقبري، فكان خاتمة من روى عنه ونشر علمه بالمشرق.

ويعد كتاب جمهرة أنساب العرب من أوسع كتب النسب وأحفلها وأدقها مع الإيجاز والاستيعاب.

وقد استفدت من هذا الكتاب كثيراً بالنسبة للتثبت من نسب الأشخاص الذين ورد ذكرهم في هذا البحث، وقبائلهم، وخاصة نقباء الدعوة الاثني عشر والذين لم أجد لهم ترجمة في أي كتاب آخر غير هذا الكتاب.

والمصدر الخامس هو (كتاب الطبقات):

لأبي محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكنى بأبي عبد الله، وكل ما جاء في المصادر عنه أنه ولد سنة (١٦٨ هـ) بالبصرة، فنسب إليها، وارتحل إلى بغداد وأقام فيها ملازماً لأستاذه الواقدي يكتب له حتى عرف باسم كاتب الواقدي.

وقد ارتحل إلى المدينة والكوفة، ومما لاشك فيه أن رحلته إلى المدينة قد كانت سنة (٢٠٠ هـ) فهو يذكر أنه لقي فيها بعض الشيوخ عام (١٨٩هـ) وفي أثناء حله وترحاله، كان شغله الشاغل هو لقاء الشيوخ، وكتابة الحديث وجمع الكتب، ولذلك اتصل بأعلام عصره من المحدثين فروى عنهم وقيد مروياتهم، وأفاد منها في تصنيف كتبه حتى وصف بأنه كان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب.

وهذا الحديث يدل على أن نشاطه لم يقف به عند تأليف الطبقات، وإن كانت المصادر لم تذكر له من المؤلفات إلا كتابين آخرين - عدا الطبقات الكبير - وهما كتاب (الطبقات الصغير) وهو مستخرج من المؤلف الأول، وكتاب (أخبار النبي) وهو الكتاب الوحيد الذي ذكره ابن النديم وربما لم

يكن هذا الكتاب سوى الجزأين الأوليين من الطبقات الكبرى، أي أن الكتب الثلاثة في حقيقتها كتاب واحد، وتسكت المصادر عما سوى ذلك من مؤلفات.

وأستطيع أن أقول إن محمد بن سعد كان على اتصال بأكبر رجال الحديث في عصره، سواء أكانوا شيوخاً أم تلامذة، ومن يطلع على الطبقات يجد له منهم شيوخاً كثيرين منهم: سفيان بن عيينه، وأبوالوليد الطيالسي، ومحمد بن سعد الضرير، ووكيع بن الجراح، وسليمان بن حرب، والفضل ابن دكين، والوليد بن مسلم، ومعن بن عيسى وعشرات غيرهم.

ولو راجع القارئ تراجم هؤلاء الشيوخ في كتب الرجال لوجد معظمهم ممن لا يشك في عدالته.

وهذا ما يجعلني أعتقد أن المادة التي نقلها ابن سعد قد وجهت بالنقد الضمني لأنه تحرى قبل نقلها أن تكون في الأكثر مأخوذة عن العدول والثقات.

وهذا الموقف هو الذي كسب لابن سعد تقدير معاصريه ومن بعدهم، ، فكلهم تقريباً وثقوه وأثنوا عليه حتى قال فيه الخطيب البغدادي: « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه، فإنه يتحرى في كثير من رواياته ».

وبعد فكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد عمل أضخم مما أراد أن يخدم به علم الرجال وعلم الحديث، فتحدث فيه عن الرسول والصحابة والتابعين إلى عصره، مقتفياً خطى أستاذه الواقدي، الذي ألف أيضاً

كتاب (الطبقات)، ويبدو أن عمل ابن سعد شمل رواية الواقدي نفسه في السيرة والتراجم مضافاً إليها روايات أخذها عن غير الواقدي في السيرة والتراجم أيضاً.

وبعد أن انتهى ابن سعد من كتابه هذا في أكثر الجزأين الأوليين من سيرة الرسول ﷺ أضاف فصلاً عن الذين كانوا يفتون بالمدينة في عهد النبي - ﷺ - ثم أخذ يترجم للصحابة والتابعين، فشغل بذلك جميع الأجزاء الباقية من كتابه ما عدا الجزء الأخير الذي خصصه للنساء.

وقد راعى في التراجم عنصرين: عنصر الزمان، وعنصر المكان. أما عنصر الزمان فقد تدخل في بناء الطبقات من أولها إلى آخرها، وكانت السابقة إلى الإسلام هي المحور الأكبر فيه، سواء اتصلت بالهجرة إلى الحبشة وموقعة بدر أولاً إلى غير ذلك من النقط الزمنية التي وجهت التقسيم في ذلك الكتاب.

ومن ثم بدأ بالمهاجرين البدريين ثم الأنصار البدريين، ثم بمن أسلم قديماً ولم يشهد بدراً وإنما هاجر إلى الحبشة أوشهد أحداً ثم من أسلم قبل الفتح وهكذا.

وبعد هذا تدخل العنصر المكاني فأخذ يترجم للصحابة ومن بعدهم على حسب الأمصار التي نزلوها.

وقد استفدت من هذا المصدر والذي يعد من أهم كتب الطبقات في الترجمة لأغلب الشخصيات التي وردت في هذا البحث.

واستفدت كذلك من الأحداث التي أوردها في كلامه حولهم.

والمصدر السادس والأخير في هذا التعريف هو (معجم البلدان).

للشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ولا يعلم شيء عن تاريخ مولده، وكل ما يعرف عنه أنه أخذ وهو حدث أسيراً من بلاد الروم، وحمل إلى بغداد مع غيره من الأسرى فبيع فيها، فاشتراه تاجر اسمه عسكر الحموي، فنسب إليه وقيل له: ياقوت الحموي. وكان الذي اشتراه جاهلاً بالحظ، فوضعه في الكتاب ليتعلم فينتفع به في ضبط أعماله التجارية، فقرأ ياقوت شيئاً من النحو واللغة، ثم احتاج إليه مولاه، فأخذ يشغله بالأسفار في المتاجرة. ولم يمض زمن حتى أعتقه وأقصاه عنه. فطفق ياقوت يكسب رزقه بنسخ الكتب فاستفاد بالمطالعة علماً.

ثم سافر إلى حلب، وجعل ينتقل من بلد إلى آخر حتى استقر في خوارزم فمكث فيها إلى أن أغار عليها جنكيز خان سلطان المغول سنة (٦١٦هـ).

وقد استفاد برحلاته الكثيرة فوائد جغرافية عديدة سنحت له تأليف هذا الكتاب الذي لا يعد معجماً جغرافياً فقط، وإنما هو أيضاً كتاب تاريخ وأدب، ومصدر من أعظم المصادر التي ينبغي الاعتماد عليها في التعريف بالمدن.

ويتجلى في هذا الكتاب معرفة ياقوت الواسعة بالعالم وتجربته من خلال تجارته وأسفاره في أنحاء العالم الإسلامي، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس، وبلاد ما وراء النهر.

ومع ذلك فياقوت يعتمد في معجمه على النقل من كتب الجغرافيا العربية وكتب التاريخ الموجودة في حوزته، وهو أمين في نقله، إذ ينسب ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها التي نقل منها.

ويمتاز معجم البلدان بترتيبه على حروف الهجاء مما يساعد على سهولة الانتفاع بمادته، كما يمتاز باتساع مادته وغزارتها، وبالجمع بين المادة الجغرافية والمادة التاريخية والأدبية.

وقد قدم ياقوت معجمه بخمسة فصول تناول فيها صورة الأرض ومعنى الإقليم، والكورة، والمخلاف، والأستان، والرساتيق والطسوج، والأجناد، واصطلاحات جغرافية: كالبرق، والفرسخ وحكم الأرضين من حيث الفتح والخراج.

وقد استفدت من هذا المصدر القيم في التعريف بمعظم البلدان والمناطق التي وردت في هذا البحث من حيث الموقع والمساحة والارتفاع.

وبعد...

فقد أوضحت الأسباب التي من أجلها كان اختياري لموضوع هذا البحث، والمنهج الذي التزمته في كتابته، والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أو انتفعت بها في استقائي لمادته.

والله يعلم كم بذلت فيه من جهد، وكم كرست له من وقت حتى بلغت الغاية، وحققت الهدف مستعينة بالله، ومتوكلة عليه وقاصدة وجهه.

وقد عاونني في بحثي هذا أشخاص كثيرون لا أحصي أسماءهم، فلهم مني الشكر والتقدير، والابتهال إلى المولى القدير أن يثيبهم ثواب العاملين المحتسبين أجرهم عنده وثوابهم لديه.

وربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا، فأنِر لنا الطريق واهدنا سواء السبيل.

الفصل الأول

العلاقة بين الأمويين وبين الهاشميين والعباسيين

(أ) بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(ب) بين الهاشميين والأمويين في عهد الراشدين رضي الله عنهم.

(جـ) بين العباسيين والأمويين.

(أ) بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ:

الهاشميون: هم أبناء هاشم بن عبد مناف بن قصي، والأمويون: هم أبناء أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي[1]. إذن فالبيتان الهاشمي والأموي ينتميان إلى أبٍ واحد وهو: عبد مناف، وقد اختلف المؤرخون في وصف العلاقة التي كانتً تربط بينهما في الجاهلية فذهب فريق[2] منهم إلى أن هذه العلاقة لم تكن على ما يرام بينهما في هذه الفترة، واستدلوا على صحة دعواهم هذه بأدلة:

أحدها: أن منافرة[3] قد كانت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية، وأن الكاهن أوالحكم الذي تنافرا إليه قد قضى لهاشم على أمية، وأغرمه خمسين من الإبل وأمر أن يتغربا عن مكة عشر سنين، وأن أمية قد نزل على هذا الحكم ودفع النياق، وذهب إلى الشام حيث قضى هذه الفترة.

وثانيها: أن نزاعاً[4] آخر، أو منافرة أخرى قد كانت بين حرب بن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرؤوف، ص ٧، جـ١، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، الناشر، دار الجيل - بيروت.
ابن جزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤، الناشر، دار المعارف مصر.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج١، ص ٦٠ - ٦١، دار المعارف - مصر.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ٢، ص ٢٥٣، دار سويدان - بيروت.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٠ - ٦١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٩، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م. الناشر دار الكتاب العربي.

أمية، وبين عبد المطلب بن هاشم. وذلك لأن عبد المطلب قد كان له جار يهوديٌّ يعيش في جواره، وأن حرباً قد قتل هذا الجار، وسلبه ماله، وقد انتهى الأمر بين حرب وبين عبد المطلب بدفع الدية ورد المال.

وقد عزا هذا الفريق من المؤرخين[1] أسباب توتر العلاقة بين البيتين إلى أن الهاشميين قد كانوا يتولون الرئاسة الدينية في مكة، وأنهم هم الذين كانوا يتولون السقاية والرفادة. ومن أجل ذلك كانت تدبج فيهم الخطب وتنشد القصائد ومن ذلك على سبيل المثال:

تحـــمل هاشم مـــا ضـــاق عنه ... وأعـــيـــا أن يقـــوم به ابن بيضِ
أتاهم بالغـــرائر مـــتْـــأقَـــات ... من أرض الشـأم بالبـر النفـيض
فـــــأوسع أهـل مكة من هـشمٍ ... وشاب الخبز باللحم الغريضي[2]

أما الأمويون فلم يكن لهم في هذه الفترة من جوانب الشرف والرياسة سـوى اللواء[3]. وهي راية كـانت إليـهـم، وكـانـت ترفع أمـام القـوافل التجارية، والخارجة من مكة والعائدة إليها.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص ١٢٥،
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٣) جـاء في العـقـد الفـريـد: أن هذا اللواء هو العـقـاب: وهو راية قـريش، فـإذا كـانت عند رجل أخرجها إذا حميت الحرب، فإذا أجمعت قريش على أحد أعطوه العقاب، وإن لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه.
ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٣، ص ٢٣٦، تحقيق محمد سعيد العريان، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت.

فكان طبيعي أن يحقد الأمويون على الهاشميين، وأن تكون العلاقة بينهم علاقة بغض وعداوة. وذهب الفريق الثاني من المؤرخين[1] إلى أن العلاقة بين البيتين الهاشمي والأموي، قد كانت علاقة حسنة، ولم يحدث بينهم طوال هذه الفترة ما يكدر الصفو، ويغري بالحقد والكيد، ودليلهم على هذا:

أن البيتين قد تقاسما أوج الشرف، وتبوءا قمة القيادة والزعامة في مكة وما حولها، فالرياسة الدينية كانت في أيدي الهاشميين، والرياسة المالية والاقتصادية كانت في أيدي الأمويين، فهم الذين كانوا يحرسون التجارة[2]، وهم الذين كانوا يرعونها في ذهابها وإيابها. وقد أجاب هذا الفريق على الأدلة التي أقامها معارضوه فقالوا: بالنسبة للدليل الأول: إن ما زعمه الإخباريون من المنافرة التي كانت بين هاشم وابن أخيه أمية لا أساس لها من الصحة، وذلك لأمور:

أحدها: تهافت[3] أسانيد هذه الروايات وضعفها.

وثانيها: ما ذكره المؤرخون من أن هاشم وعبد شمس كانا توأمين[4]. وأن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص ١٢٠.

(٢) الذي يدرس تاريخ أبي سفيان بن حرب، يجد هذه الحقيقة، فغزوة بدر مثلاً قد كان من أسبابها طلب النبي - ﷺ - للعير، وقد كان الذي يقوم بحراستها هو أبو سفيان، وهكذا الشأن في غزوات أخرى.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٢٥٣.

(٤) توأمين: بمعنى المولود مع غيره في بطن من الاثنين فصاعداً، ذكراً أوأنثى، ويقال توأم للذكر، وتوأمة للأنثى، فإذا جمعا فهما توأمان وتوأم.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ١٠.

هاشماً قد مات في العشرين أوفيما يقاربها[1].

وإذن فإن أمية في الوقت الذي توفي فيه عمه قد كان طفلاً في العاشرة من عمره، فكيف يعقل والحالة هذه أن ينازع عمه وأن ينافره، ويحتكم وإياه إلى الكاهن، ومن أين جاءته النياق الخمسون التي دفعها له، وكيف يقضي الكاهن على طفل صغير كهذا بالبعد عن عش آبائه وأجداده عشر سنين.

إنه ليس لهذه الأسئلة كلها من جواب، سوى أن هذه المنافرة غير صحيحة. وقالوا: بالنسبة للدليل الثاني: إن العرب قد كانوا يرعون الجوار[2]. رعاية تامة وكان كل بيت أو كل فرد يعرف هذه العادات جيداً، فلا يعتدي على ما أجاره بيت أو فرد من أفراد القبيلة، فكيف جاز لحرب أن يخرق هذه العادات التي كانت قد قويت واستقرت ويعتدي على اليهودي الذي أجاره عبد المطب ويسلبه نفسه وماله. ويبقى الدليل الثالث والأخير: وقد أجاب عنه هذا الفريق[3] بأن البيت الأموي لم يكن من الخمول في الجاهلية كما وصفه الفريق الأول، وإنما كانت له منزلته ومكانته التي لم تكن تقل عن منزلة البيت الهاشمي ومكانته.

= ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص ٢٥٣.
الزاوى: القاموس المحيط، جـ١، ص ٣٨٣، طبعة ١٣٩٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ٦٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ١٠.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢، ص ٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبيوية، ج١، ص ١٢٢.

ونحن نعرف ما للتجاره والمال من الأثر في رفعة قدر أصحابها ومنزلتهم. والذي يقارن بين ما أورده هذان الفريقان لا يسعه إلا أن يؤيد الفريق الثاني، لوضوح أدلته من جهة، ولأن الروايات التي اعتمد عليها الفريق الأول ليست من القوة والصحة بحيث يمكن الاعتماد عليها.

والذي نستطيع أن نقرره في هذا الموضوع هو: أن التنافس على الرياسة والشرف قد كان واضحاً بين البيتين إلا أنه لم يُخرج العلاقة بينهما في الجاهلية عما كان بين أبناء الأعمام من التسابق إلى منازل الرفعة وآواج المجد.

وجاء محمد - عليه الصلاة والسلام - وأعلن أنه نبي، وأن الوحي يهبط عليه من السماء، وهذه منزلة لا سبيل إلى الوصول إليها بجهد مهما جل، ولا بعمل مهما كثر واستمر، لأن النبوة لا تنال بكسل ولا برياضة، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى واختيار. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]. وطبيعي أن يضايق هذا الادعاء البيت الأموي، ويملأ نفوس أفراده حنقاً وغيظاً، فقد سابقوا بني هاشم في كل شيء حتى إذا كانوا وإياهم على درجة من المجد والرفعة قالوا: منا نبي يوحى إليه. وهذه منزلة ليس إلى إدراكها من سبيل، وفي هذا يقول أحد رجالات قريش[2] وذوي المكانة والمنزلة

---

(١) قرآن كريم: سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٢) الواقدي المغازي والسير، تحقيق مارسون جونس، جـ١، ص ٣، الناشر، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص ١٣٠، طبعة ١٣٨٨هـ، ١٩٩٦، دار المعارف بيروت.

فيها: « لقد تسابقنا وبني هاشم في كل شيء أطعموا فأطعمنا، وكسوا فكسونا، حتى إذا كنا وإياهم كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً ».

وهذا النص يفسر لنا بوضوح السبب الذي من أجله آذى بنو أمية رسول الله - ﷺ- ووقفوا في سبيل دعوته طوال العهد المكي، وشطراً من العهد المدني.

فقد اتفقت الروايات على أن أكثر من ناصب الرسول - صلى الله عليه وسلم - العداء في مكة قد كانوا من بني أمية، ونذكر منهم على سبيل المثال: عقبة بن أبي معيط[1]. فإنه لم يكن يكتفي بإيذائه - ﷺ - باللسان، وإنما كان يحمل القذر حتى يضعه على عتبة داره. والحكم بن أبي العاصي[2] الذي أسلم ثم ارتد وعاد مرة أخرى إلى الإسلام، والذي بلغ به السفه والطيش حداً ينظر من خلل أبواب بيوت النبي - عليه الصلاة والسلام - ليرى ماذا يصنع هو وأزواجه.

وقد نفاه الرسول - ﷺ - إلى الربذة[3] وقد نزل القرآن الكريم في

---

(١) عقبه بن أبي معيط، واسم أبي معيط، أبان بن أبي عمرو بن أمية ويكنى أبا الوليد.
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ١٤٧.

(٢) الحكم بن أبي العاصي بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٨٧.

(٣) الربذة: بفتح أوله وثانية، وذال معجمة مفتوحة أيضاً، والربذة: من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وبهذا الموضع قبر أبو ذر الغفاري، رحمه الله.
ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٤، الناشر، دار صادر - بيروت.

الكثير من أفراد هذا البيت مسجلاً عليهم إيذاءهم للدين وأهله.

ومن هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾[2]. وقوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾[3] فالآية الأولى تحدثنا: عن رجل من بني أمية كان يزعم أن محمداً إنما يأتي بأخبار أكاسرة الفرس، وقياصرة الروم، ويقول: إنني سأنزل مثل ما أنزل الله عليه. والآية الثانية تحدثنا عن الوليد بن عقبة الذي بعثه النبي - ﷺ - إلى بعض القبائل لجمع صدقاتها فجبن عن الشخوص إليها وعاد إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - مدعياً أنها رفضت دفع هذه الصدقات، وكادت الحرب أن تكون بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبينها لولا أن أعلم الله نبيَهُ جلية الخبر. أما الآية الثالثة: أو الصورة الثالثة فإنها نزلت في أم جميل[4] وهي امرأة من بني أمية، قد كانت زوجاً لأبي لهب عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكانت تبغضه وتؤذيه حتى إنها فسخت خطبة ولديها[5] لابنتي رسول الله - ﷺ -، عندما صدع بما أمر الله، وأعلن أن الوحي ينزل عليه من قبله، وقد أرجع بعض

---

(١) قرآن كريم: سورة الأنعام، آية ٩٣، (٢) قرآن كريم: سوة الحجرات، آية ٦.

(٣) قرآن كريم: سورة المسد.

(٤) أم جميل بنت حرب بن أمية، أم عتبة وعتيبة أبناء أبي لهب بن عبد المطلب.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١١٣

(٥) أسماء أبناء أبي لهب، عتبة، وعتيبة، وأسماء بنتي الرسول المخطوبتين لهما: رقية، وأم كلثوم.

الكتاب شدة عداوة أبي لهب للنبي - عليه الصلاة والسلام - إلى تأثير هذه المرأة الأموية عليه ورغبتها التي لا تنتهي في النيل منه.

ومهما ينسى التاريخ فلا ينسى سعيد بن العاصي[1] الذي كان من أشد المشركين عداوة لرسول الله - عليه الصلاه والسلام - في مكة، وقد بقي كذلك حتى وافاه الأجل، وبلغ من حقده على الإسلام ورسوله أنه طلب أن يقبر في الطائف حتى لا يجامع الرسول لا في الحياة، ولا بعد الممات.

ولو شئنا أن نستقصي ما كان من الأمويين للنبي - عليه الصلاة والسلام - في مكة لاحتجنا إلى الكثير من الجهد والوقت، ومن أجل هذا فسوف نكتفي بهذا الطرف اليسير، وننتقل إلى العلاقة بين النبي وبني هاشم من جهة، وبين الأمويين من جهة ثانية في المدينة.

وخلاصة ما ذكره المؤرخون حولها هو: أن الأمويين قد زادت عداوتهم للنبي - عليه الصلاة والسلام - خاصة ولبني هاشم على سبيل العموم في المدينة عنها في مكة، ذلك لأن محمداً - ﷺ - قد صارت له بعد الهجرة دولة وملك، وأنه قد أصبح قادراً على مناوءة قريش ومقاومتها، ومن يدري فقد يصرعها وتكون له الغلبة في النهاية عليها، ومن أجل هذا رأينا الأمويين يسهمون في كل غزوة تخرج من مكة لضرب المسلمين،

= ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ٢١٤.
البلاذري: أنساب الأشراف، جـ١، ص ١٣٢.

(١) سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو أحيحة القرشي الأموي، وهو شاعر جاهلي، وكان من وجوه قريش، قتل يوم بدر كافراً.
ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، رتبه عبد القادر بدران، جـ٦، ص ١٣٣، ١٣٤ الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٦م، الناشر، دار المسيرة - بيروت.

وتقويض دعائم دولتهم لا يكتفون بهذا العمل وحسب، وإنما يخرجون إلى القبائل الضاربة في شبه الجزيرة فيستعدونها على محمد ﷺ ويتحالفون وإياها على حربه وقتاله، وقد كان لعميدهم وشيخهم أبي سفيان بن حرب في ذلك القدح المعلا والدور الظاهر الكبير، فهو الذي قاد الجيوش في أحد لمهاجمة المدينة، وهو الذي حزب الأحزاب لمباغتتها واستئصال الإسلام فيها في غزوة الخندق، وقد بقيت نار العداوة في قلبه فلم تنطفئ حتى دخل الإسلام في فتح مكة.

وإذا راجعنا أسماء[1] من حضروا الغزوات من المشركين بين بدر والفتح، رأينا أبناء الكثيرين منهم وأنهم كانوا من الأمويين، ولم يكن هؤلاء يشاركون في هذه المشاهد بالسيوف والرماح وحسب، وإنما كانوا يقومون بالتحريض والتزمير على القتال، وحتى النساء فإن التاريخ قد سجل للأمويات في هذه الغزوات مواقف ليس إلى إغفالها ولا نسيانها من سبيل، فهذه هند[2] زوجة أبي سفيان قد كانت تحرض المشركين على القتال في

---

(١) عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن الحارث بن أبي وجزة، أبو العاصي بن الربيع، صهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزوج ابنته زينب، وخالد بن أسيد بن أبي العاص، وأربعة حلفاء لهم.

الواقدي: المغازي والسير، جـ١، ص ١٣٩.

ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٢، ص ٢٥٧.

ابن حزم: جوامع السيرة، تحقيق حسن عباس، ناصر الدين الأسد، مراجعة أحمد شاكر، ص ١٤٩ - ١٥٠، الناشر، حديث أكادمي، فيصل آياده باكستان.

(٢) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، زوجة أبي سفيان بن حرب، أسلمت يوم الفتح.

ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٨، ص ٣٣٥، ٢٣٦، الناشر، دار صادر - بيروت.

غزوة أُحد وتقول: في ذلك من القصائد والأراجيز ما يهز العواطف ويثير المشاعر ومن ذلك على سبيل المثال[1].

نحن بنات طارق نمشي على النمارق مشي القطا البوارق
والمسك في المفارق والدر في المخانق إن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

ومنه أيضاً قولها لبني عبد الدار وقد كانوا أصحاب ألوية الحرب في الجاهلية.

ويها[2] بني عبد الدار ويها حماة الأديار ضرباً بكل بتار

ومهما ينسى التاريخ فلا ينسى أن هنداً هي التي خططت لقتل حمزة عم النبي - عليه الصلاة والسلام - وهي التي بقرت بطنه واستخرجت كبده، ولم تكتف بهذه الشناعات، وإنما قطعت أذنيه وجعلتهما قرطين لها، حتى بعد أن اعتنقت الإسلام ونعمت ببرد ظله، فإنها لم تنس هذه العدواة فقد علقت على قول النبي - عليه الصلاة والسلام -، وهو يأخذ البيعة من النساء (ولا يقتلن أولادهن) فقالت: ربيناهم صغاراً، وقتلهم كباراً.

ولما نزلت آية الغنائم وفيها سهم ذي القربى قسمه النبي - ﷺ -، في بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط للأمويين منه شيئاً فقال: عثمان بن عفان

(١) الواقدي: المغازي والسير، جـ١، ص ٢٢٥.
ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٣، ص ٢٠.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٥١٠.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٢، ص ١٦.

- رضي الله عنه - [1] يا رسول الله لقد أعطيت بني المطلب دوننا، ونحن وإياهم من بني عبد مناف، قال: النبي - ﷺ - أولئك قوم لم يؤذونا لا في جاهلية ولا في إسلام.

ومن هذا التلخيص الموجز يتبين لنا: أن الأمويين قد كانوا أشد فصائل قريش أذىً للرسول، وأن العلاقة بينهم، وبين بني هاشم في المدينة قد كانت أسوأ منها في مكة، وحتى بعض من أسلم وحسن إسلامه من هؤلاء فإن هذه العداوة كانت تظهر من غير قصد ولا تعمد. ومن ذلك على سبيل المثال: ما كان من أبي حذيفة بن عتبة[2] فإنه لم يرضَ عن الرغبة التي أبداها رسول الله - ﷺ - نحو عمه العباس من نهي المسلمين عن قتله، فقد قال أبو حذيفة: نضرب آباءَنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس بن عبدالمطلب، والله لئن لقيته لألحمنه السيف. والدليل على أن هذه العداوة إنما بدت من غير قصد منه، أنه قد ندم على مقالته هذه وكان يرى أنه لا يكفرها سوى الاستشهاد في سبيل الله.

ومن حق بعض الأمويين علينا ومن الإنصاف للتاريخ، أن نقرر هنا أن

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، جـ٤، ص ١٩٩، الناشر، عالم الكتب بيروت.
الآية: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. قرآن كريم: سورة الأنفال، آية ٤١.

(٢) أبو حذيفة عتبة بن ربيعه بن عبد شمس بن عبد مناف، واسمه مهشم، ويقال: هشيم، هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم قدم فهاجر الى المدينة، وشهد بدراً، وقتل يوم اليمامة شهيداً، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.
البلاذري: أنساب الأشراف، ص ١٩٩.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٣، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

هذه العداوة قد كانت من الكثرة الغالبة من الأمويين، وأن القليلين منهم لم يكونوا يضمرون لبني هاشم سوى المحبة والمودة، ومن هؤلاء على سبيل المثال سعيد بن العاصي[1] وأخوه خالد[2] وعثمان بن عفان[3] - رضي الله عنهم - فإن هؤلاء قد خالط الإيمان شغاف قلوبهم، ، واستقر في سويداء أفئدتهم فلم يجعل لهذه العداوة مكاناً تحل فيه. على أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لم يدع هذه العداوة تتدهور هكذا إلى غير قرار، وإنما عمل جاهداً على تخفيض شوكتها، وإضعاف قوتها، وقد بذل في ذلك جهوداً منها:

أولاً: تكريمه لمن سبق إلى الإسلام، وأحسن البلاء في سبيله، وذلك مثل: عثمان بن عفان فقد زوجه من ابنتيه[4]. ووضع يده اليمنى في يده اليسرى[5]. وبايع بها نيابة عنه في بيعة الرضوان، وبشره بالجنة، وغادر هذه الدنيا وهو عنه راضٍ.

---

(١) سعيد بن العاصي بن سعيد بن أحيحة بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.
ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ ٥، ص ٣٠ - ٣١.

(٢) خالد بن العاصي بن أميه بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى، كان إسلامه قديماً.
ابن سعد: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٩٤ - ٩٦.

(٣) أبو عبد الله عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبدمناف، أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وزوجه رسول الله من ابنتيه.
ابن الجوزي: صفوة الصفوة، جـ ١، ص ٢٩٤.

(٤) رقية، أم كلثوم.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، ص ١٨٦.
ابن حجر العسقلاني: الإصابه في تمييز الصحابة، جـ ١، ص ٣٩٢، الطبعة الأولى مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

ثانياً : تعظيمه لأبي سفيان، وابنه معاوية، فقد جعل لأبي سفيان يوم فتح مكة ما لم يجعله لغيره، وذلك حيث قال[1] : من دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وقد أعطاه وأعطى ولده من الغنائم في حنين حتى رضي، وأضاف معاوية إلى الرجال الذين كانوا يكتبون بين يديه.

ثالثاً : ومنها استعماله للأمويين، وإسناده الكثير من المناصب الهامة إليهم. فقد أسند إلى عتاب بن أسيد[2] أمر مكة بعد فتحها، وجعل أبا سفيان، وسعيد بن العاصي[3] وأخاه خالداً على الصدقات.

وهكذا بذل النبي - عليه الصلاة والسلام - من جانبه الجهود المضنية حتى قرب بين بني أمية وبني هاشم، وأهال الرماد على ما كان بينهما من الإحن والعداوات. ونستطيع بعد هذا العرض الموجز للعلاقة بين الهاشميين، وبين الأمويين في حياة الرسول - ﷺ - أن نقول إنها قد مرت عبر مرحلتين.

كانت الأولى منهما: على غاية من العنف والشدة، وهي تلك التي بدأت ببعثة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وانتهت بفتح مكة.

وكانت الثانية: علاقة محبة ومودة، وهي التي تبدأ بفتح مكة، وتنتهي بوفاته - صلوات الله وسلامه عليه -.

---

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم، تحقيق، عبد الله أحمد أبو زينة، جـ٤، ص٤١٨، الناشر، دار الشعب.

(٢) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أميه، ولاه رسول الله مكة إذ فتحها فبقي والياً عليها إلى أن مات - رحمه الله -.
ابن قتيبة: المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، ص٢٨٣، الطبعة الرابعة، دارالمعارف، القاهرة.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ص٥٢٩ - ٥٣٠.

(ب) بين الهاشميين والأمويين في عهد الراشدين رضي الله عنهم:

توفي رسول الله - ﷺ -، وكان الهاشميون لا يرتابون في أن الخلافة من بعده ستصير إليهم عامة، وإلى علي[1] - كرم الله وجهه - منهم خاصة، غير أن ما كانوا يظنونه شيئاً، وما أراده الله قد كان شيئاً آخر.

فقد بُويع أبو بكر[2] - رضي الله عنه - في السقيفة[3] من قِبل الأنصار، وبويع بعد ذلك في المسجد من قِبل سائر المسلمين.

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن عبد عبد مناف، ويكنى أبا الحسن، كان صاحب لواء رسول الله- ﷺ - يوم بدر وفي كل مشهد، وتوفي - رحمه‌الله -يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين: وهو أول خليفة من بني هاشم، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان بن عفان - رضي‌الله عنه -.

البغدادي: المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح ايلزه ليختن، ص ٧٠، الناشر المكتب التجاري للنشر، بيروت.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق، أبو الفضل إبراهيم، ص ٢٦٦، الناشر، دار النهضة للطبع.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، جـ١، ص ١٧٠، الناشر، دارالمعارف، بيروت لبنان.

(٢) هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مره بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، بويع بالخلافة في اليوم الذي قبض فيه رسول الله - ﷺ - وتوفي يوم الجمعة لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

ابن قتيبة: المعارف، ص ١٦٧ - ١٧١.

(٣) المسعودي: التنبية والإشراف، ص ٢٦٣، طبعة ١٩٨١، الناشر، دار الهلال.

ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ٤٧، تحقيق، قاسم السامرائي، طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الناشر دار العلوم.

ومع أن الأمويين كانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم، إلا أن بعضهم قد بقيت فيه أثارٌ من الجاهلية، وقد بدا هذا واضحاً في أبي سفيان بن حرب[1] عندما بلغته بيعة أبي بكر، فقد لعبت برأسه النعرة الجاهلية والعصبية القبلية، وظن أن الخلافة إنما تنال بذلك.

فذهب إلى علي والعباس[2] وراح يلومهما على خروج الأمر بعد وفاة النبي - عليه السلاة والسلام - من أيدي عبد مناف إلى بني تيم، ومن يده ويدي عمه العباس إلى أبي بكر، وبين عبد مناف وبني تيم ما بينهما من التفاوت في الشرف والمجد[3]. ولم يكتف أبو سفيان - رضي الله عنه - بهذا اللوم لكل من عليٍّ والعباس لخروج الخلافة من بين أيديهما، وإنما هدد وتوعد وزعم أنه قادر على أن يضرم المدينة على أبي بكر ناراً وأن يملأها عليه

(١) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. أسلم قبل فتح مكة. وولاه الرسول على صدقات الطائف وتوفي في المدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة.
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق، طه محمد الزيني، جـ٥، ص ١٢٧.
الأصفهاني: كتاب الأغاني، جـ٦، ص ٣٢١.

(٢) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس، وكان العباس أسن من رسول الله - ﷺ - بسنتين وقيل بثلاث سنين.
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٦، ص ٣٠ - ١٠.

(٣) ونستدل على ذلك من المحاورة التي كانت بين أبي بكر وأبي سفيان حيث أنه بلغ أبا بكر - رضي الله عنه - عن صخر بن حرب أمر، فأحضره وأقبل يصيح عليه، وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده: على من يصيح ابني؟ فقال له: على أبي سفيان، فدنا من أبي بكر وقال له: أعلى أبي سفيان ترفع صوتك ياعتيق الله؟ فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار وقال له: يا أبت إن الله قد رفع بالإسلام قوماً وأذل به آخرين.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٢/ ٢٩٩.

خيلاً ورجالاً[1]. ومضى في غضبه هذا إلى حد أنه قد وصف كلاً من عليّ والعباس بالرضا والذل والصبر على المهانة والضيم وتمثل في هذا بقول الشاعر: [2]

ولن يقيم على خسف يراد به ... إلاّ الأذلاّن عير الحيّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته ... وذا يشج فلا يرثى له أحد

ولم يكن أبو سفيان وحده فارس هذه الحلبة وإنما ثمة أمويون آخرون ومنهم على سبيل المثال: خالد بن سعيد[3] الذي راح هو الآخر يحرض عليًا على أبي بكر ويبذل له العون للخروج من طاعته أو الإصرار على رفض مبايعته[4] وينبغي أن يكون ملاحظاً أن هؤلاء الأمويين لم يكونوا يريدون أن يلي علي أو العباس الخلافة حباً في البيت الهاشمي، ولا رغبة في أن يلي هذا البيت أعباء هذا المنصب الجليل، وإنما فعلوا ما فعلوا من باب العصبية القبلية والنعرة الجاهلية.

ومن يدري فلعلهم كانوا يتوقعون من وراء هذا الشغب أن يجدوا ثغرة يصلون منها إلى الطلب بالخلافة على أساس أن الهاشميين والأمويين كليهما

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٢٠٩.
(٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص ٢٠٩.
ابن الأثير، الكامل، جـ٢، ص ٢٢٠.
وهذه القصيدة للشاعر المتلمس وهو: جرير بن عبدالمسيح بن عبدالله بن ربيعة، وهو من شعراء الجاهلية.
الأصفهاني، كتاب الإغاني، جـ٢٣، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.
(٣) خالد بن سعيد، سبقت الترجمة له.
(٤) كان خالد من عمال رسول الله - ﷺ - فقدم وقد توفي رسول الله - ﷺ - فامتنع عن البيعة ومال إلى بني هاشم ورفض العمل لأبي بكر. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٢٦ - ١٣٣.

من بني عبد مناف[1]. وحجتنا في هذا ما كان من علي نحو أبي سفيان فور هذا التحريض. فقد اتهمه بالغش وفوت عليه الغرض الذي كان يسعى إليه وقال له: يا أبا سفيان إن المؤمنين نصحة بعضهم لبعض، وإن المنافقين غششة بعضهم لبعض، وإنا قد رأينا أن أبا بكر لها أهل[2].

وأمام هذا الإخفاق، وشعور الأمويين بأن منزلتهم قد تأخرت كثيراً عما كانوا عليه في الجاهلية - بالنسبة لبني هاشم - وذلك بمعاداتهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وتخلفهم عن القتال تحت لوائه، ألقوا بأنفسهم في ميادين الجهاد، وحرصوا على أن يتلافوا مافات بقتال الكفار، والاستبسال في كل ميدان من ميادين الحرب والضرب، واستطاعوا أن يكتبوا لأنفسهم صفحات مليئة بالمفاخر والمناقب، الأمر الذي حفز الشيخين أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -إلى الاستعانة بهم والاعتماد عليهم، وإسناد الكثير من المناصب السياسية والقيادية إلى رجالاتهم. ومن هؤلاء على سبيل المثال يزيد ابن أبي سفيان[3]. وأخوه معاوية[4] وخالد بن سعيد، والوليد بن عقبة،

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص ٥٧.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٢١٠.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٢٢٠.

(٣) يزيد بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، كانت له صحبة، واستعمله أبو بكر على الشام، ثم أقره عمر بعد أبي بكر، ومات بالشام سنة ثمان عشرة هجرية.
ابن قتبة: المعارف، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.
ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١١١.

(٤) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت عتبة أسلم يوم عمرة القضاء، وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، ومات في دمشق سنة ستين هجرية.

وغيرهم ممن تبوّؤوا أرفع الوظائف السياسية والحربية في عهدي الصديق والفاروق. وطعن عمر - رضي الله عنه - وجاء المسلمون[1] يسألونه أن يستخلف عليهم رجلاً، وتردد - رضي الله عنه - بين الشورى والاستخلاف وقال في ذلك كلمته المشهورة: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، وخطر في نفسه أن يلقي ما على كاهله على كاهل علي[2] - رضي الله عنه -. غير أنه خشي إن هو فعل ذلك أن يحمل بني هاشم على رقاب الناس. وألف - رضي الله عنه - مجلساً من ستة نفر وهم: علي، وعثمان، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيدالله، ووضع شروطاً لأعمال هذا المجلس، وجعل اختيار الخليفة من بين أعضائه بالاقتراع فإن اختار أربعةٌ رجلاً، وأبى رجلٌ واحدٌ قطعت رأسه وإن كانوا ثلاثة حكم بينهم عبدالله بن عمر، فإن أبوا أن ينزلوا على حكمه كانت الخلافة في الطرف الذي فيه عبدالرحمن بن عوف[3].

البغدادي: المحبر، ص ٢٠.

التميمي: الفرق بني الفرق، ص ١٧ - ١٨.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٨.

ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٢٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٢٨.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢١٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٧.

وقد كان عمر - رضي الله عنه - لا يشك في أن الخلافة صائرة إلى أحد الرجلين علي، أو عثمان، ولهذا فإنه اجتمع بكلٍّ منهما وأوصاه: إن هو آل الأمر إليه أن يتقي الله ولا يحمل أقاربه على رقاب الناس، وقبل أن يجتمع المجلس للتشاور اجتمع العباس[1] بن عبد المطلب بعليٍّ، وعرض عليه أن يعتزل أعمال هذا المجلس، ولما رفض عليٌّ هذا الاقتراح، عرض عليه اقتراحاً آخر وهو: أن يرفض كل ما يعرض عليه، إلا أن يضعوا مقاليد الخلافة بين يديه، وكما رفض عليٌّ الاقتراح الأول، فإنه رفض كذلك الاقتراح الثاني، ووجة نظره - رضي الله عنه - هي أنه إذا قاطع أعمال مجالس عمر، فإنه يكون قد أقصى نفسه نهائياً عن الخلافة، وهذا ما لا يريده، وإن رفض كل ما يعرض عليه إلا الإمرة وقع تحت طائلة العقاب الصارم الذي حدده عمر للمخالف وهو ضرب العنق. ومع أن عليًا قد كان في موقف لا يحسد عليه كما رأينا فإنه قد كان على ثقة من تكتل بطون قريش[2] ضد بني هاشم على أساس أن الخلافة إذا صارت إليهم تداولوها فيما بينهم، وإذا صارت إلى بني هاشم بقيت فيهم ما بقي منه طارق، وجاء في إحدى الروايات أن أبا سفيان - رضي الله عنه - قد اجتمع هو الآخر قبل انعقاد المجلس، وأوصى قومه بالجد في طلب الخلافة، وأمرهم أن يتداولوها بينهم تداول الكرة. ومن هذا العرض الموجز تبين لنا: أن البيتين الهاشمي والأموي قد وقفا وجهاً لوجه يطلبان الخلافة ويتنافسان على الأخذ

= ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٣، ص ٦١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٢٣٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٣٣.

بمقاليدها. واجتمع المجلس واقترح عبدالرحمن بن عوف[1] على أعضائه أن يتنازل أحدهم عن الخلافة على أن يتولى الاختيار للمسلمين، ولما رفض هذا الاقتراح، اقترح اقتراحاً ثانياً وهو: أن يتنازل هو عن الخلافة ويقوم بالاختيار، وقبل المجلس كله هذا الاقتراح ما خلا علياً فإن الشكوك قد أخذت تساوره في نية عبدالرحمن، وأبى أن يعطيه الميثاق على الطاعة حتى يأخذ منه ميثاقاً ألا يحابي ذا رحم على رحم[2].

وجاء في إحدى الروايات: أن عبدالرحمن قد استشار الناس فقد صيرهم فريقين أحدهما: إلى جانب عليٍّ، والآخر: إلى جانب عثمان، وهذا ما يؤكد ما ألمحنا إليه آنفاً من وقوف البيتين الهاشمي والأموي وجهاً لوجه، ومحاولة كلٍّ منهما استقطاب الناس إلى جانبه، ويزيد هذه القضية تأكيداً: أن المسلمين لما اجتمعوا في المسجد في اليوم الرابع من استشهاد عمر، وهو اليوم الذي أمر ألا يمضي حتى يتم اختيار الخليفة، وتنادى الأمويون مطالبين عبدالرحمن أن يعهد بالأمر إلى عليٍّ[3]. وتمت بيعة عثمان على أساس موافقتة على العمل بسيرة الشيخين دون علي، ومع أن أبا الحسين - رضي الله عنه - قد بايع عثمان، إلا أن وقع هذه البيعة لم يكن سهلاً على علي خاصة، ولا على بني هاشم على وجه العموم[4]. لا سيما وأن علياً لم يكن مستريحاً إلى تفويض الأمر إلى عبدالرحمن بن عوف.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣١.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

وفي خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أخذت العلاقة تأخذ طريقها نحو التوتر بين بني هاشم وبين بني أمية، ومرجع هذا - فيما أرى - إلى سببين:

أحدهما: أن عثمان - رضي الله - عنه قد كان أحد أعضاء البيت الأموي، بل لقد كان شيخ هذا البيت: وملجأ أفراده، فقد كان يحب أهل بيته ويبذل قصارى الجهد في حمايتهم ورعاية شؤونهم، ولا جدال فيما كان من تولي عثمان شؤون الخلافة، وهو من هو في بني أمية من الأثر على الهاشمية وإذكاء نار الحقد والغضب في أعماق نفوسهم. وقد بدا هذا واضحاً فيما كان من المقداد بن عمرو[1] وأبي ذر الغفاري[2]. وغيرهما من إظهار ما في أنفسهم من الندم في مسجد النبي - ﷺ - على خروج الأمر من أهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى بني أمية، وتكرر ذلك حتى اضطر عثمان - رضي الله عنه - إلى التدخل، وإنزال العقوبة بمن يصنع هذا الصنيع.

والسبب الثاني: أن عثمان لما تولى شؤون الحكم صار في بني هاشم سيرة الشيخين من قبله في إبعادهما عن المناصب السياسية والقيادية، وزاد على ذلك: إسناد هذه المناصب إلى أقاربه وأهل بيته فكان على مصر[3] عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وكان على البصرة[4] عبد الله بن عامر بن كريز،

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٦٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٢٨٣.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٢، ص ٣٤.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، جـ٤، ص ٤٢١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٤٥.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٩٥.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٢١.

وعلى الكوفة[1] الوليد ثم سعيد بن العاص من بعده، وكان على أقاليم الشام الأربعة[2] معاوية بن أبي سفيان. وحتى سوق المدينة فإنه أسنده إلى الحارث بن الحكم، وقد كان هؤلاء جميعاً من بني أمية، وكانت الأموال في أيديهم بطبيعة الحال، وكان بنو هاشم ينظرون إلى ذلك فتضيق صدورهم من الخليفة، ويكثرون من لومه وشجب سياسته.

وإذا استعرضنا ما كتبه الطبري[3] وغيره من الحوار الذي كان بين علي وبين عثمان حول قصر المناصب الكبرى في الدولة على أقاربه، تبدت لنا هذه الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

وثمت أسباب أخرى زادت هذه العلاقة وهناً على وهن منها: تناوح رياح الفتنة، وخروج الثوارمن مصر، والكوفة، والبصرة، لما طالبت الخليفة بتعديل هذه السياسة، وقطع دابر الأسباب التي أدت إلى اشتعال نيران الفتنة، فقد كان عليٌّ - رضي الله عنه - في هذه الظروف في موقف لا يحسد عليه، كان غير راضٍ عن سياسة عثمان[4]، وكان في الوقت نفسه مضطراً إلى الدفاع عنه[5] والوقوف إلى جانبه. ومع أن الأمويين لم يكونوا ممن يحسن النصح للخليفة، ويعمل على رد السوء عنه، فقد كانوا لا يثقون في علي[6]. وكانوا يتهمونه علناً بأنه هو السبب فيما يعاني منه الخليفة من النقد واللائمة.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٤٢١.
(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٤٢١.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٢.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٤.
(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٤.

وتجمع الروايات: على أن عليًا على الرغم من معارضته لسياسة الخليفة قد ساندهُ[1] وبذل قصارى الجهد في نصحه والدفاع عنه، حتى أصبح على يقين من أنه لا يستطيع الاستمرار على هذا الموقف ما دام بنو أمية يقودونه كما يقاد جمل الظعينة بعد كبر السن وطول الصحبة على حد قوله.

وقد أخذت العلاقة بين بني هاشم، وبين بني أمية تنتقل من سيئ إلى أسوأ في هذا العهد حتى بلغت الغاية عند استشهاد أمير المؤمنين عثمان، فقد اتهم الأمويون صراحة عليًا وبني هاشم بالتخلي عن عثمان، بل وبالمشاركة في دمه وفي هذا يقول شاعرهم[2]:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تذهبوه لا يحل تناهبه
بني هاشم إلا تردوا فإننا
سواء علينا قاتلوه وسالبه
غدرتم به كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وواضح من هذه الأبيات وغيرها مما أنشده الأمويون فور مقتل ذي النورين أن بني أمية لم يكتفوا بلوم بني هاشم وحسب، وإنما اتهموهم بنهب سلاح الخليفة، وسفك دمه، وهذه مرحلة من العلاقة لم يهبط إليها هذان البيتان من قبل ذلك.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٦٢.

(٢) هذه الأبيات: للوليد بن عقبة بن أبي معيط، آخي عثمان لأمه قالها: في رثاء عثمان بن عفان. المسعودي: مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٤٧.

وبويع أمير المؤمنين علي، وشعر الأمويون بأن الخلافة قد خرجت من أيديهم. وفكروا فيما ينبغي أن يفعلوه تجاه علي خاصة، وتجاه البيت الهاشمي على سبيل العموم[1].

ويختلف الروا ة فيما كان من الأمويين في المدينة فيذهب منهم فريق[2] إلى أنهم قد هربوا فور استخلاف علي فأوى إلى مكة منهم فريق، وأوى إلى الشام حيث كان يحكم معاوية منهم فريق آخر.

ويذهب اليعقوبي[3] إلى أن مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، قد اجتمعوا بعلي وذكروه بما كان منه تجاههم في بدر وغيرها من غزواته تحت لواء النبي - عليه الصلاة والسلام - وعرضوا عليه البيعة على أن يخلي بينهم، وبين ما في أيديهم، وأن يقتل قتلة صاحبهم، وأبى عليٌّ - رضي الله عنه - إلا أن يسير فيهم سيرته في غيرهم.

وقد انتهى هذا الاجتماع بتظاهر هؤلاء الوجوه بالبيعة ثم إنهم ما لبثوا أن هربوا.

وهذه الرواية الثانية في نظري هي الصحيحة؛ لأن الأمويين ما كان لهم أن يفارقوا علياً حتى يحتاطوا لأنفسهم، فلما لم يجدوا عنده ما يريدون

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٣٥٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ١٠٧.

(٢) ابن قتبة: الإمامة والسياسة، جـ ١، ص ٤٧ - ٥٣.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٤٤٨.
ابن الأثير الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٩٩.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٧٨.
المسعودي: مروج الذهب، جـ ٢، ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

لم يجدوا بداً من إشعال نار الفتنة، ورفع لواء العصيان وهذا هو ما كان، فإن فريقاً[1] من بني أمية وعلى رأسهم مروان بن الحكم، قد أقبلوا إلى مكة، وراحوا يحرضون الزبير، وطلحة، وأم المؤمنين عائشة، على الطلب بثأر الخليفة المقتول ويصورون لهم ولسائر الناس هناك ما ارتكبه الثوار من البشاعة، وكيف أنهم قتلوا عثمان في الشهر الحرام، والبلد الحرام وهو صائم يقرأ القرآن [2].

ولم يكتف هؤلاء الأمويون بالتحريض، والتزمير وحسب، وإنما بذلوا النصح والمال حتى تأججت نار الفتنة، وحتى انطلق الغاضبون وعلى رأسهم طلحة، والزبير، وأم المؤمنين عائشة إلى البصرة.

وفي الشام[3] أوى الفريق الآخر من الأمويين ومعهم قميص عثمان ملطخ بدمائه، وعليه أصابع امرأته التي قطعت وهي تحميه وتدافع عنه. ونصبوا هذا القميص على أعواد المنبر في مسجد دمشق. وراحوا يحرضون الناس ويثيرون حفائظهم على الهاشميين عامة، وعلى عليٍّ منهم خاصة، على أساس أنهم قد شاركوا في قتل ذي النورين - رضي الله عنه - أو قصروا في حمايته على الأقل.

وكان معاوية ينتظر سنوح هذه الفرصة، فقد كان كبير بني أمية من جهة، وكان شديد الرغبة في الوصول إلى الخلافة من جهة ثانية، وبلغه عزل

---

(١) المسعودي: المصدر السابق، جـ٢، ص ٣٥٧.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٨٦.

(٢) اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٨١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٤١ - ٥٤٢.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٤، ص ٤٤٤ - ٥٦٢. =

علي له ولغيره من ولاة عثمان، فزاده ذلك إصراراً على الطلب بدم الخليفة المقتول، وأعلن أنه وليه وأحق الناس بالمناداة بالقصاص من قتلته ومن أجل هذا فإن عليًا لما كتب إليه يدعوه إلى الدخول في طاعته لم يذعن له ، وأعاد رسله إليه، ومعهم كتاب منه ليس فيه سوى هذا البيت من الشعر[1].

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكُلى وضرب الركاب

ومع أن معاوية كان يعلم أن الحرب بينه وبين عليٍّ أمرٌ لا شك فيه، فإنه قد آثر التريث والانتظار حتى يرى ما يكون بينه وبين طلحة، والزبير، وعائشة وكان على يقين من أن أحد الفريقين سوف لا ينتصر على صاحبه إلا بعد أن يفل عزمه، وتضعف قوته، ويكون قتاله بعد ذلك هيناً لا مشقة فيه[2].

وانتصر أمير المؤمنين عليٌّ، ولكن بعد ما كان قد ضعف رجاله، واتسعت الهوة بين أهل الكوفة وأهل البصرة وهما من رعيته.

وقد تغير موقف معاوية[3]. من بيعة علي، فبعدما كان يبدي استعداده للدخول فيها إذا هو قتل قتلة عثمان، راح يطلب علياً بهذا القصاص، وشيء آخر وهو : اعتزال الخلافة ورجوع الأمر شورى يختار المسلمون لأنفسهم من يشاؤون. وباتت الحرب أمراً لا شك فيه، ولاسبيل إلى تجنبه

= طلس: تاريخ العرب، جـ١، ص ٢٢٣، الناشر دارالأندلس.
بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين، منير البعلبكي، ص ١١٢، الناشر، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٦١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٤٤١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٥٦٣.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ٩١.

وتفاديه، ودارت بين الفريقين معركة كانت كفة عليٍّ فيها هي الراجحة.

غير أن معاوية[1] قد استطاع أن يبعد عنه ثمرة هذا النصر بعدما أوشكت أن تسقط بين يديه.

وذلك برفع المصاحف على أسنة الرماح، ودعوة أهل العراق إلى تحكيم القرآن بينهم، وبين أهل الشام.

وليس من منهجي هنا أن أناقش قضية التحكيم وما أسفرت عنه، تلك مسألة تحتاج إلى طول تأنّ وانتظار، وإنما يكفيني أن أقرر أن هذا التحكيم قد كان في صالح معاوية، ولم يكن في صالح علي، وقد انقسمت جنود هذا الأخير واشتعلت نار الحرب بينهم. وانتهز معاوية هذه الفرصة فراح يغير على أطراف دولة علي ويستقطب وجوه قادته ورجاله، واستطاع أن يضع يده على مصر[2] وأن يشعل نار العداوة بين الأزد وتميم في البصرة[3] وأن ينشر الخراب في الحجاز واليمن[4] وكان لهذا كله أثره العكسي على جنود علي. فقد ضعفوا وتخاذلوا، ولم يعودوا كما كانوا طوع أمره ورهن مشيئته.

---

(١) ابن قتيبة: المصدر السابق، جـ١، ص ١٠١ - ١٠٢.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٨٨.
اليماني: كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار، ص ٣.
فتحية النبراوي: دراسة في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٣٠٣ - ٣٠٤، الناشر، الإدارة العامة لكليات البنات، الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التايخ، جـ٣، ص ١٧٧.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٣، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم، والملوك، جـ٥، ص ١١٠ - ١١٢.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ١٣٤ - ١٣٩.

وأخيراً عرض معاوية على عليٍّ اتفاقية مؤداها[1] أن تقسم دولة الإسلام بينهما فتكون الشام، ومصر. من نصيب معاوية، ويكون الحجاز، والعراق من نصيب علي، وقبل أن ينتهي هذا السعي إلى نتيجة، راح عليٌّ ضحية مؤامرة خارجية[2] استهدف ناسجوها قتل علي ومعاوية وعمرو ابن العاص.

وقد نجحت هذه المؤامرة في قتل أبي الحسن - رضي الله عنه - دون صاحبيه، وجاء الحسن بعد أبيه، فلم يبق على أريكة الخلافة سوى ستة أشهر حتى تبين له أن الانتصار على معاوية ليس بالأمر السهل، وأن الخير له، وللمسلمين جميعاً أن يصالحه، ويدخل في طاعته. وهذا هو ما كان فقد تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية[3].

(جـ) بين العباسيين والأمويين:

وينتهي هذا الطور المتوتر من العلاقة بين البيتين الهاشمي، والأموي، ليدخل مرحلة أخرى من الصراع الذي انتهى بالإجهاز على البيت الأموي على أيدي بني العباس. ولتوضيح هذا الطور الذي ألمعنا إليه، نقول: إن الصراع لم ينته بين العلويين وبين بني أمية باستشهاد علي[4]، وتنازل الحسن

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ١٤٠.

(٢) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ١٣٧ - ١٣٨.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢١٢.
الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص ٢٩ - ٣٣، تحقيق، السيد أحمد صقر، الناشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ٤٠ - ٤١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ١٤١ - ١٤٣.
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص ١٨٣ - ١٨٤.

من بعده عن الخلافة لمعاوية[1] وإنما راح العلويون يناوئون بني أمية، ويشرعون السلاح في وجوههم، وعلى العكس من ذلك تماماً كانت العلاقة بين الأمويين، وبين بني العباس. فقد هادنوهم وبايعوهم وتفيئوا ظلال حكمهم طوال القرن الأول الهجري، فلم يرو التاريخ أن العباسيين قد شاطروا أبناء عمهم العلويين في حرب، أو وقفوا إلى جانبهم في معركة، وكل ما كانوا يفعلونه إذا نزلت بالعلويين كارثة أو أصابهم على يدي الأمويين مكروه أن يتظاهروا بالحزن من أجلهم، والسخط على ما نزل بساحتهم، والدليل على هذا[2] هو أن عبدالله بن عباس قد غاضب عليًا، وترك العمل له بالبصرة، وولى وجهه شطر مكة، وأن أخاه عبيدالله [3] قد تخلى عن الحسن في أحرج الظروف، وترك الجيش الذي عهد إليه بقيادته، وخرج ليلاً إلى معاوية فصالحه، ووضع يده في يده.

وفي خلافة معاوية، كان العباسيون وعلى رأسهم عبدالله بن عباس يأتون إلى دمشق ويجالسون معاوية ويقبلون عطاياه وجوائزه.

وأوضح من هذا وأظهر، أن عبدالله بن عباس، قد بايع يزيد بن معاوية بولاية العهد في حياة أبيه، وبايعه بالخلافة فور توليه شؤون هذا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص١٦٣ - ١٦٤.
ابن الأثير: الكمال في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ١٤١، ١٤٣.
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٢، ص١٨٣، ١٨٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ١٦٣، ١٦٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

المنصب الكبير، ولم يسلك في هذه البيعة مسلك الحسين بن علي، وعبدالله ابن الزبير، اللذين رفضا بيعة يزيد بولاية العهد، وبيعته بالخلافة بعده[1].

وكل ما فعله ابن عباس، هو أنه رفض التعاون مع يزيد على ابن الزبير حينما كتب إليه يطلب منه ذلك، ولامه على إزعاجه للحسين حتى اضطره إلى قتله وآله ورجاله على ثرى كربلاء[2].

وهذا هو موقف لو لم يتخذه ابن عباس من يزيد، لكان موضعاً للمؤاخذة واللوم. إذ كيف يمد يده لمصافحة قاتل أهل بيته من أبناء علي، ومظاهرته في مناوءة عدوه.

وهكذا كانت العلاقة بين بني أمية وبين العباسيين في العهد السفياني، علاقة قائمة على المهادنة، بل وربما على الود والصداقة، ومرجع هذا فيما أرى أن العباس بن عبدالمطلب، وأبا سفيان صخر بن حرب قد كانا صديقين في الجاهلية، وكانا صديقين في الإسلام، كذلك فإن العباس هو الذي لفت نظر أبي سفيان إلى قوة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأنه لا سبيل إلى أن يهزم من قبل قريش في فتح مكة، والعباس هو الذي حمى أبا سفيان من بطش عمر، ووقف إلى جانبه حتى نطق بالشهادتين[3]. والعباس هو الذي قال: للنبي - عليه الصلاة والسلام - فور إسلام أبي سفيان يا رسول الله إن

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ١، ص ١٧٣ - ١٧٤.
البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥٠

(٣) المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٢.

أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، فقال - عليه السلام - من دخل دار أبي سفيان فهو آمن[1]. ثم إن العباسيين قد انضموا إلى جانب عليٍّ عندما كانت القوة إلى جانبه، وكانت ولايات الأقاليم في عهده إليهم[2]. فلما هبط نجمه، وطاش سهمه رأوا أن السياسة تتطلب منهم الانصراف عنه، والانضمام إلى الغالب. وهذا هو الذي يفسر لي استقالة عبدالله بن عباس من حكومة عليٍّ وانضمام أخيه عبيدالله إلى معسكر معاوية.

وجاء العهد المرواني، وقد دخل العباسيون في طاعة خلفاء هذا البيت، وتفيؤوا ظلال مودتهم، غير أن العلاقة لم تكن بينهما كما كانت بينهم وبين السفيانيين، ومرجع هذا إلى أن عليّ بن عبدالله بن عباس، قد تزوج من مطلّقة عبدالملك[3] وأن هذا الزواج قد فتح باب الشر والعداوة بين الرجلين، وأطلق لسان كل منهما في عيب الآخر، وإشاعة قالات السوء فيه، ولأن عداوة الآباء يرثها الأبناء فإن الملوك من أبناء عبدالملك قد كانوا يكرهون عليّ بن عبدالله بن عباس خاصة، ويكرهون العباسيين على سبيل العموم.

وقد انتهز سليمان بن عبد لملك النزاع الذي كان بين علي وبين سليط ابن عباس فاتهم الأول بالمشاركة في قتل الثاني وحبسه وضربه بالسياط[4].

---

(١) الإمام مسلم: صحيح مسلم، جـ ٤، ص ٤١٨.
الواقدي: المغازي والسير، جـ ٢، ص ٨٢٢ - ٨٢٣.
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٤، ص ٢٩١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٧٩.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٥.

(٣) المقريزي: النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٥.

(٤) المقريزي: المصدرالسابق، ص ١٥.

ولم يكتف بهذا وحسب، وإنما حرم عليه مساكنته في دمشق، وأنزله هو وأهل بيته في قرية اسمها الحميمة[1] وسار هشام بن عبد الملك مع العباسيين سيرة أخيه سليمان، فاتهم علياً بطلب الخلافة، وأمر به فضرب بالسياط بين يديه.

وهكذا ساءت العلاقة بين العباسيين، وبين البيت المرواني، وباتت تنذر بالشر، وترهص بالخطر.

(١) الحميمة: بلد من أرض الشراه، من أعمال عَمَّان في أطرف الشام. وكانت منزل بني العباس. ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٠٧.

الفصل الثاني

مراكز الدعوة وجهازها السري

أ - استشراف العباسيين للخلافة.

ب - مراكز الدعوة.

جـ - الجهاز السري.

أ - استشراف العباسيين للخلافة :

فقد عقد العباسيون الخناصر على إقصاء بني أمية عن الخلافة، واستوائهم هم على أريكتها، وحشدوا من أجل ذلك الجهود وجمعوا الأشياع والأتباع، ورسموا خطة هي غاية في الدقة والإحكام، وقبل أن أسلط الأضواء على الوسائل التي توصل بها العباسيون إلى إسقاط دولة بني أمية، واستيلائهم هم على مقاليد الحكم والسياسة، أرى لزاماً عليَّ أن أتساءل أولاً: متى استشرف العباسيون للخلافة؟ وقبل الجواب عن هذا التساؤل، فلابد من الجواب عن تساؤل آخر وهو: ما هو الشرط الأساسي الذي لا سبيل إلى طلب الخلافة بدون تحقيقه؟

والذي يدرس في عمق الظروف التي واكبت وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، لا يسعه إلا أن يؤمن بأن شرط الخلافة الأساسي قد كان هو: السبق إلى الإسلام، والجهاد تحت لواء النبي - عليه الصلاة والسلام -، والدليل على هذا أمران:

أحدهما :

قوله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا** ﴾ (١).

فقد فاضل الله في هذه الآية بين المسلمين وفضل من قاتل وأنفق قبل الفتح، على من قاتل وأنفق بعده.

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٠.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ ٤، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

الأمر الثاني :

هو : أن أبا بكر - رضي الله عنه - قد فاضل في السقيفة[1] بين المسلمين كذلك، وذكر أن المهاجرين هم الأحق بالفضل، لأنهم قد أسلموا قبل الأنصار من جهة، ولأنهم قد قُدموا عليهم في القرآن من جهة ثانية.

وإذا ثبت أن السبق إلى الإسلام هو الشرط الذي لابد منه للاستشراف للخلافة، كان في مقدورنا أن نقرر أن العباسين لم يستشرفوا لهذا المنصب الكبير فور وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، مع أن العباس بن عبد المطلب قد كان هو العم الحي[2] بعد موته - عليه السلام -، وبالتالي فهو أقرب المسلمين قرابة منه، والذي أُثبته الآن منطقياً هو الذي ثبت تاريخياً، فإن العباس[3] بن عبد المطلب قد قدم عليًا على نفسه في طلب الخلافة وقال له : فيما يرويه المؤرخون : « يا علي قم حتى أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عمه فلا يختلف عليك بنو هاشم، وإذا لم يختلف عليك

---

(١) ابن قتيبة : المعارف، ص ١٧٠ .
اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
المسعودي : التنبيه والاشراف، ص ٢٦٣ .
أبو الفداء : المختصر في أخبار الشر، جـ ١، ص ١٥٦ .
السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢) عمر : بحوث في التاريخ العباسي، ص ٦٦، الناشر : دار القلم للطباعة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

(٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ص ١٢ .
غنيم : دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ١٥ - ١٦ . الناشر : دار الوفاء للطباعة، طبعة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

بنو هاشم فلا تختلف عليك قريش، وإذا لم تختلف عليك قريش فلا يختلف عليك أحد».

فهذه الرواية دليل ظاهر على أن السبق لو لم يكن هو الشرط الأساسي في طلب الخلافة، وكانت القرابة تسبقه، أو تغني عنه لما رضي العباس أن يقدم عليه في هذا المنصب العظيم أحد. ولا يقال: إن العباس قد كان يجل علياً ويحبه، ولا يرغب أن يدخل معه في نزاع، فإن العباس[1] قد نازع أبا الحسن في ميراث النبي - عليه الصلاة والسلام -، واحتكم وإياه إلى كل من أبي بكر وعمر، وليس من المعقول ولا من المقبول أن يتخلى له راضياً عن الخلافة، وينازعه في هذا العرض التافه من أعراض الدنيا.

ولم يكن تقديم العباس لعليٍّ على نفسه عند وفاة النبي - عليه الصلاة والسلام -، واستخلاف أبي بكر وحسب، وإنما وقف معه هذا الموقف إثر وفاة عمر وقبل اختيار عثمان، فقد عرض عليه ألا يشارك في أعمال مجلس الشورى[2] لأنه كان يرى أن الكل سوف يتفق على إقصائه عن الخلافة، وأمام رفض عليٍّ لهذا الاقتراح عرض عليه اقتراحاً آخر وهو: أن يرفض[3] كل ما يعرضه أعضاء المجلس عليه إلا أن يضعوا مقاليد الخلافة بين يديه. وكما رفض عليٌّ الاقتراح الأول، فقد رفض كذلك الاقتراح الثاني، وقد بقي العباس بن عبد المطلب على رأيه هذا في تقديم علي عليه في طلب

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ٥، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٤، ص ٢٣٠.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

الخلافة حتى غادر هذه الدنيا في السنة المكملة للثلاثين[1] من الهجرة.

وقد نسج أبناء العباس - رضي الله عنهم -، على هذا المنوال بالنسبة للخلافة في حياة علي فلم يستشرفوا لها، ولم ينازعوه - كرم الله وجه - فيها، بل لقد كانوا يؤيدونه في إخلاص[2]، ويشدون سلطانه في قوة حتى بدأ نجمه يهوي، وأخذ كرسي الخلافة يهتز من تحته وذلك بعد صدور حكم الحكمين[3] وشن معاوية - رضي الله عنه - الغارة على أطراف دولته.

فإن عبدالله بن عباس - وهو أعظم أبناء أبيه وأوسعهم شهرة - قد انتهز فرصة الخلاف المالي الذي نشب بينه وبين عليٍّ وغادر البصرة مستقيلاً إلى الحجاز[4] ومن هذه العجالة المقتضبة يتبين لنا أن العباسيين لم يستشرفوا للخلافة ولا فكروا في السعي إليها إلا بعد زوال حكم الراشدين، وقيام دولة بن أمية.

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٧١.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣٠٧.
المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٧١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٤٤٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٠٠.

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ١٩٧ - ١٩٨.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص ١١٠ - ١٣٩.

(٤) الطبري: المصدر الصابق، جـ٥، ص ١٤١ - ١٤٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ١٩٤.

وجاء الحسن بن علي[1] بعد استشهاد أبيه فقرب بني العباس، وأسند إلى عبدالله، أو إلى أخيه عبيدالله قيادة الجيش الذي كان قد حشده أبوه لمواجهة معاوية في معركة فاصلة غير أن هذا القائد قد وهن عزمه، وضعف إخلاصه عندما نُمي إليه أن الحسن قد فكر في التنازل عن الخلافة، وأنه يفاوض رسل معاوية من أجل تحقيق هذه الغاية، ومع أن عبدالله أو عبيدالله وسائر العباسيين لا يرضيهم أن تخرج الخلافة من البيت الهاشمي إلى البيت الأموي فإنه أي عبدالله أو أخاه قد رأى أن يعمل لصالحه وصالح أهل بيته، ويكسب له مكاناً في سلطان الغالب وهو معاوية.

ولهذا فإنه لم يكد يأتيه عرض معاوية بدخوله في طاعته، وبذل له المال من أجل ذلك حتى غادر عسكره ليلاً وانضم إلى عسكر معاوية[2] ومنذ هذه الوهلة والعباسيون يتظاهرون بالإخلاص لدولة بني أمية. فلم يشغبوا عليها ولا دخلوا وإياها في معركة حربية أو سياسية طوال حكم البيت السفياني، على الرغم مما كان يصب على أبناء عمهم العلويين من الأذى وما كان ينزل

---

(١) اتفق اليعقوبي والطبري في أن الحسن بعد استشهاد أبيه أسند قيادة الجيش إلى عبيدالله بن عباس، مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية، وقد أمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس ورأيه.

إلا أننا نجد أن ابن الأثير في كتابه الكامل، قد اختلف معهم في الرأي، وذكر أن الحسن - رضي الله عنه - قد أمر عبد الله بن عباس على الجيش.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٢١٤.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٨.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٣، ص ٢٠٣.

غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ص ١٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٥، ص ١٥٨.

بساحتهم من الاضطهاد والقتل، وإن كانوا بين الفينة والأخرى يتظاهرون بالغضب لهم ومجافاة السلطان من أجلهم، ويبدو هذا واضحاً في رد عبدالله بن عباس[1] على الكتاب الذي بعثه إليه معاوية والذي طلب فيه منه أن يكون عوناً له على ابن الزبير. فقد أجابه ابن عباس غاضباً رافضاً مذكراً إياه بما كان منه تجاه الحسين وآله ورجاله على ثرى كربلاء. ولست أشك في أن العباسيين وإن تظاهروا خلال هذه الفترة بمهادنة بني أمية، فإنهم كانوا غير راضين عن انتقال الخلافة إليهم، وتعاقبها فيهم من رجل إلى رجل، وأنهم كانوا يعدون العدة ويجمعون الأهبة للإدالة منهم، والعمل على زوال سلطانهم، والدليل على هذا ما جاء في الطبري[2] وغيره من أنهم كانوا يوحون إلى شيعتهم بأن الأمر صائرٌ إليهم، وأن خيولهم سوف تجتاح الظلم والظلام وتعيد الحق إلى أهله وأولى الناس به. وأنهم قد حددوا ثلاثة أوقات لانطلاق دعوتهم[3] لتحقيق هذا الهدف وبلوغ هذه الغاية، وأول هذه الأوقات الثلاثة هو: هلاك الطاغية ويعنون به يزيد بن معاوية[4] فاختيارهم

---

(١) وهذا بعض مما ورد في كتاب ابن عباس - رضي الله عنه - أمابعد، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إياي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته، فإن يك ذلك كما بلغك، فلست حمدك أردت، ولا ودك ولكن الله بما في النفس عليم. . . الخ.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٩١ - ٣٩٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢١ - ٤٢٣.

(٤) استخلف أبو خالد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة ستين، وولي سنتين وثمانية أشهر، وتوفي سنة ثلاث وستين، وأمه ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولحة بن كنانة بن عدي بن حارثة الكلبي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٩٩.

لهذا الوقت دليل قائم وحجة واضحة على أن استشرافهم للخلافة وسعيهم إلى الوصول إليها إنما كان منذ بداية قيام الدولة الأموية، ولا يقال هنا لماذا لم يسلكوا في مقاومة هذه الدولة مسلك أبناء عمهم العلويين، أو يضعوا أيديهم في أيديهم حتى يواجهوهم إلباً واحداً. فقد كان العباسيون يرون أن دولة بني أمية في أوج قوتها وعنفوان سلطانها، وأن منازلتها من غير خطة مدروسة ولا عدة محسوبة إلقاء بأيديهم إلى التهلكة، واستئصالهم لأنفسهم وأشياعهم من غير أن يحققوا هدفاً ويبلغوا غاية.

ولكي يستقطب العباسيون الأشياع ويجتذبوا الأنصار والأتباع فإنهم راحوا يسلكون إليهم بما يرون أنه يسيطر على عواطفهم ومشاعرهم ويملك حبات أنفسهم ونياط قلوبهم. ومن أجل هذا رأيناهم يوحون إلى أنصار هؤلاء بأن النبي - عليه الصلاة والسلام -، قد نبأ بأن الخلافة صائرة إليهم، وأنها باقية في أعقابهم إلى أن يسلموها إلى عيسى بن مريم. ونحن إذا راجعنا « الكامل » لابن الأثير[1]، و « البداية والنهاية » لابن

---

(١) قدم أبو مسلم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير، وخاف أن لا يقوى على أمرهم، فردوه، وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً خلف نهر بلخ، لما رجع إلى مرو أقرؤوه كتاب الإمام إبراهيم فسأل عن أبي مسلم فأخبروه أن سليمان بن كثير رده، فجمع النقباء وقال لهم: أتاكم كتاب الإمام فيمن بعثه إليكم فرددتموه فما حجتكم في رده، فقال سليمان: حداثة سنه وتخوفاً أن لا يقدر على هذا الأمر، فقال أبو داود: هل فيكم أحد ينكر أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ واصطفاه وبعثه إلى جميع خلقه؟ قالوا: لا قال: أفتشكون أن الله تعالى أنزل عليه كتاباً فيه حلاله، وحرامه، . . . الخ.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

كثير[1]، و « تاريخ الخلفاء » للسيوطي[2]. وغيرها من كتب السُّنَّة والتاريخ رأينا العشرات من هذه الأحاديث، صحيح أن بعضها سليم وبعضها سقيم لكنها كانت تجد طريقها إلى القلوب وتعرف سبيلها إلى الأفئدة والنفوس.

وثم وسيلة ثانية وهي[3]: ما كانوا يروونه عن محاورات بين عبدالله بن عباس، وبين معاوية بن أبي سفيان في دمشق، وكيف أن ابن عباس قد كان يؤكد لمعاوية بأنهم - أعني بني أمية - لا يملكون يوماً إلا ويملك العباسيون يومين.

وأخيراً وليس آخراً: هذا[4] العلم الذي كانوا يزعمون أن رسول الله - ﷺ -، قد استودعهم إياه قبل أن يفارق هذه الحياة، وكيف أنهم يعرفون به كل ما سوف يحدث في المستقبل، ومن بين هذا - بطبيعة الحال - ما سيحدث لهم هم ولأعدائهم حول الخلافة حتى ينتصروا عليهم ويظفروا بهم ويعلوا حقهم على باطلهم، ولقد أسرفوا في ذلك حتى حددوا أماكن

---

(١) قال البيهقي حدثنا الحاكم ثنا أبو بكر بن إسحاق وأبو بكر في آخرين قالوا: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبي ميسرة مولى العباس قال: سمعت العباس قال: كنت عند النبي ﷺ ذات ليلة فقال: انظر هل ترى في السماء من شيء؟ قلت: نعم قال: ما ترى؟ قلت: الثريا، قال: أما إنه سيملك هذه الأمة بعدها من صلبك . . . الخ
ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٨.

(٢) قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثنا علي بن صالح عن جدي عبد الله بن مصعب، عن أبيه عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال لمعاوية: لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين ولا حولاً إلا ملكنا حولين.
السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١ - ٣٦.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٣.

معاركهم، وأسماء قادة جيوشهم، ومن منهم سوف يسلم في هذه المعارك، ومن يحظى بالشهادة، أضف إلى هذا كله هذه الكتب التي كانوا يدعون أنها في أيديهم وأنها تحتوي على ما سيكون منهم ومن أعدائهم، وأسماء مساعديهم وصفاتهم وعلاماتهم، ويكفي للاستدلال على ذلك أن تقرأ خطاب[1] ابن داود خالد بن إبراهيم في النقباء بعد ردهم لأبي مسلم، وخطاب[2] قحطبة ابن شبيب إثر قتل نباته بن حنظلة، فقد تضمن الخطاب الأول أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد أوتي علم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة، وأن هذا العلم لم يقبض بوفاته وإنما استودعه عترته وأهل بيته الأقرب منهم فالأقرب، وأن الإمام وهو يومئذ محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إنما يختار مساعديه بناءً على العلم المؤتمن عليه من النبي - عليه الصلاة والسلام - وتضمن الخطابان الثاني، والثالث[3] أن قحطبة بن شبيب قد كان على علم سابق بالمعارك التي سوف يخوضها وبما سيكون فيها من نصر وهزيمة، وأن علمه هذا قد تلقاه من الإمام مباشرة.

ولا جدال فيما كان لهذه الوسائل من القدرة على استقطاب الأشياع، واجتذاب الأنصار والأتباع من جهة، وتعميق إيمانهم بحق بني العباس في

---

(١) قدم أبو مسلم خراسان وهو حدث السن فلم يقبله سليمان بن كثير وخاف أن لا يقوى على أمرهم، فرده وكان أبو داود خالد بن إبراهيم غائباً خلف نهر بلخ . . . الخ.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

(٢) قدم قحطبة منزل بإزاء نباته وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلها فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه، فبلغ قحطبة قولهم فقام فيهم فقال: يا أهل خراسان هذه البلاد التي كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم . . . إلخ.
ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٤، ص ٣١٣.

(٣) ياقوت: معجم البلدان جـ ٤، ص ٣٥٣.

الخلافة، وأنها صائرة إليهم لا محالة من جهة أخرى. وإن الباحث ليتساءل عن مدى صحة هذه الأخبار؟ وهل هي سليمة النسبة إلى ابن عباس وابنه علي وحفيده محمد؟ ويبدو لي أن أكثر هذه الأخبار ملفقة عليهم، وبالتالي فهي غير صحيحة النسبة إليهم. أما الأحاديث فلأن الحافظ ابن كثير[1]، والسيوطي[2] قد وسماها كلها بالضعف، وأنه ليس فيها حديث واحد إلا وحوله كلام. أما هذا العلم الذي أودعه رسول الله - ﷺ - عندهم وهذه الكتب التي كانوا يعرفون منها ما لا يزال مسطوراً خلف حجب الغيب، فإن ما نعلمه من الدين شيء وهذان الأمران شيء آخر. فقد جاء في القرآن الكريم أن الله تعالى وحده قد استأثر بالغيب فلا يعلمه إلا هو، قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾[3] وجاء في القرآن الكريم كذلك: أن محمداً ﷺ نفسه لا يعلم الغيب، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** ﴾[4]. صحيح أن الله يُطلع من يشاء من رسله على هذا الغيب، ولكن ذلك مبرر لغرض وظروف مقتضية، واقرأ في هذا قوله تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾[5]. وإذا ثبت هذا كله تبين لي: أن ما نسب إلى هؤلاء الأئمة الكرام غير صحيح وأنه إنما لفق وصنع من أصحاب النحَلِ والأهواء إرضاء للخلفاء العباسيين بعد قيام

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ٦، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠ - ٣٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٥) سورة الجن: الآية ٢٦.

دولتهم واستقرار أركان سلطانهم، وإذا سلم شيءٌ من هذا أيام الدعوة لبني العباس فإن مرده إلى الغلاة من أنصارهم من أمثال خداش[1] الذي كان ينسب إلى محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ما لم يقله بل ما يستحيل أن يقوله كما سوف نوضح هذا في حينه، وبهذه الوسائل أوأشباهها تقاطر الناس على العباسيين وأووا إلى ظلالهم ولا سيما الكيسانيون أصحاب المختار بن أبي عبيد[2] الذي استولى على الكوفة، واستقطب من حوله الموالي الساخطين على العرب عامة، وعلى الأمويين منهم خاصة، والسبب في هذا أن أبناء علي - رضي الله عنه - لم يكونوا يطمئنون إلى المختار، ولا كانوا يوافقونه على الكثير مما يستحدثه.

---

(١) هو عمار بن يزيد وجهه بكير بن ماهان إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس، فنزل - فيما ذكر - مرو وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي فسارع إليه الناس، وقبلوا ما جاءهم به وسمعوا إليه وأطاعوه، ثم غير ما دعاهم إليه وتكذب وأظهر دين الخرمية، وقد قتله أسد بن عبدالله القسري، وكان قد تولى أمرالدعوة في خراسان من عام ١١٥ - ١١٨هـ. في خلافة هشام بن عبد الملك.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ١٠٩.

شاكر: التاريخ الإسلامي - الدولة العباسية، جـ١، ص ٦٥ - ٦٦، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي، من الأحلاف ويقال إن مسعوداً جده هو عظيم القريتين، وقد غلب المختار على الكوفة زمن مصعب بن الزبير، وكان يزعم أن جبريل يأتيه، وتتبع قتلة الحسين بن علي - رضي الله عنهم - وقد قتل زمن ضرار بن يزيد الحنفي. وكانت ثورة المختار في الكوفة سنة ٦٤هـ.

ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

الشهرستاني: الملل والنحلل، تحقيق سيد كيلاني، جـ١، ص ١٤١، الناشر: دار المعرفة - بيروت - لبنان.

فمحمد بن الحنفية[1] قد أنكر عليه ادعاءه أنه وزيره والمتكلم باسمه، صحيح أنه قد استنجد به من ضغط ابن الزبير عليه، وتهديده إياه بالإحراق له هو ومن معه إذا هو لم يدخل في بيعته غير أن ذلك قد كان لظروف ماسة، فلما زالت عاد ابن الحنفية إلى مثل موقفه منه، وعلى العكس من هذا كان عبدالله بن عباس، فقد أثنى على المختار بعد ما جاءه نبأ قتله ووصفه بأنه قد وقف إلى جانبهم، وأخذ بالثأر ممن قتل لهم يعني الحسين بن علي ومن استشهد معه على ثرى كربلاء[2] ولا شك في أن تصريح ابن عباس هذا جدير بأن يستقطب أصحاب المختار[3] ومن ينسجون على منوالهم ويجعلهم يأوون إلى ظلال العباسيين.

ب - مراكز الدعوة وجهازها السري:

وأمام تزايد شيعة بني العباس وتدفقهم إليهم من كل مكان، راح

---

(١) هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، توفي في سنة إحدى وثمانين في المدينة، ودفن في البقيع، وكان يكنى بأبي القاسم، وقبض وهو ابن خمس وستين سنة، وقيل إنه خرج إلى الطائف هارباً من ابن الزبير فمات بها، وقيل إنه مات بآيلة. وهناك قول الكيسانية إنه بجبل رضوى.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٧٧ - ١١٦.
الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص ١٤١.
شاكر: الدولة العباسية، ص ٤٣.

(٢) حدثت موقعة كربلاء في عام ٦١هـ وقد قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب - طيب الله ثراه -، وقتل معه من بني هاشم العباس بن علي بن أبي طالب، جعفر بن علي بن أبي طالب، وعثمان بن علي بن أبي طالب، وغيرهم الكثير من بني هاشم.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٧٠.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٢٧٩ - ٢٩٦.

(٣) سبقت له الترجمة.

العباسيون يخططون لدعوتهم التي يستهدفون من ورائها إسقاط الحكم الأموي، واستواءهم هم على أريكته من بعدهم، ولا خلاف بين الباحثين في أنهم قد وضعوا لذلك خطة قد كانت غاية في الدقة والإحكام وأنهم بوصفهم إياها قد استحقوا أن يكونوا في مقدمة بناة الدول ومنشئي الممالك، وهذه الخطة التي وضعوها وضعوها قائمة على دعامتين:

إحداهما : المراكز التي اختاروها للدعوة.

والثانية : الجهاز السري الذي أناطوا به هذه المهمة: فأما مراكز الدعوة فقد كانت أربعة هي:

أولاً: الحميمة[1]:

وكانت مقر الإمام وأهل بيته، وهي قرية من أرض الشراة من أعمال عمان، على مقربة من الشوبك، ومن إقليم البلقاء بالأردن. وقد يتساءل الباحث عن الأسباب التي من أجلها نزل الإمام هذه القرية؟ والجواب: أن من المؤرخين من يدعي أن الخليفة الأموي وهو الوليد بن عبدالملك هو الذي أجلاهم إليها من دمشق إثر مقتل سليط بن عبدالله بن عباس، واتهام علي بن عبدالله بن عباس فيه، ويبدو لي أن العباسيين هم الذين اختاروا هذه القرية وآثروها على غيرها، والسر في هذا هو أنها كانت قريبة من دمشق قصبة الخلافة الأموية، وأن وجودهم فيها وتدبير أمر الدعوة منها مما يموه على بني

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٠٧.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ ١، ص ٤٢٨.

أمية حالهم، ويصرفهم عن ملاحظتهم ومراقبتهم، إذ يبدو أن من البعيد في أعين الأمويين أن يتخذ العباسيون الحميمة هذه مقراً للعمل على إسقاط الدولة الأموية وهي قاب قوسين أو أدنى من قصبة ملكها وعاصمة خلافتها.

ويمكن الجمع بين مقالة هؤلاء المؤرخين، وبين ما ذهبنا إليه فيقال: إن الوليد بن عبدالملك قد أجلى علياً وأهل بيته من دمشق إلى الحميمة، وإنهم - أعني العباسيين - لما دخلوا هذه القرية ودرسوا موقفها تبين لهم أنها خير مكان يمكن أن يديروا منه أمرهم فآثروه وفضلوه على غيره.

ثانيا الكوفة[1]:

وكانت مقر النائب الذي يتحدث باسم الإمام، ويتولى إبلاغ أوامره ونواهيه إلى الدعاة ونقبائهم الذين يرأسونهم ويتولون الإشراف عليهم، والكوفة: هي إحدى المدن أو الأمصار التي بنيت في عهد أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - وقد اختلف المؤرخون في العام الذي بنيت فيه، واختلفوا في السبب الذي من أجله أطلق عليها هذا الاسم، واختلفوا في أمور أخرى كثيرة حول هذه المدينة مما لا داعي لتفصيله هنا، وقد شهدت الكوفة منذ بنائها حتى آخر الدولة الأموية الكثير من الأحداث الدينية، والاجتماعية والسياسية، فمنها خروج[2] فريق من الثائرين على عثمان

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص ٤٩٠ - ٤٩٢.
البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٣، ص ١١٨٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، ص ٣٣١ - ٣٥٢. =

والمشاركين في حصره وقتله، وإليها انتقل مقر الحكم من المدينة المنورة في خلافة أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وظلت عاصمة الدولة، وقصبة السياسة طوال عهده وعهد ولده الحسن من بعده، وقد شهدت الكوفة الكثير من الثورات والانتفاضات طوال الحكم الأموي، ففيها اشتعلت الثورة الشيعية الأولى على يد حجر بن عدي الكندي[1]، وإليها خرج الحسين بن علي[2] فتجرع كأس المنية هو وآله ورجاله على ثرى كربلاء، ومنها خرج التوابون[3] يطلبون بالثأر من قتلة الحسين، وفيها قامت الدولة الشيعية الأولى على يد المختار بن أبي عبيد، وثمت ثورات أخرى: منها ثورة العراق على حكم عبدالملك بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث[4]، وثورة زيد بن علي[5] وولده يحيى إلى آخره مما شهدته هذه

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٣، ص ٧٧ - ٨٤.

(١) كان يكنى أبا عبد الرحمن، وفد إلى النبي ﷺ، وأسلم، وشهد القادسية، وشهد الجمل، و« صفين، مع علي - كرم الله وجهه - قتله معاوية سنة ثلاث وخمسين، وكانت ثورته في الكوفة سنة ٥١هـ.

ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٣٤.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٢٥٣ - ٢٧١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٧٠.

(٣) كانت ثورة التوابين سنة خمس وستين للهجرة، وكان قائدها سليمان بن صرد.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٥٨٣ - ٦٠٩.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٤٢ - ٣٥٠.

(٥) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ورد في قول الواقدي: أنه قتل في صفر سنة سنة إحدى وعشرين ومائة، وكانت ثورته في الكوفة سنة إحدى وعشرين ومائة.

الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٦٠، ١٧٣.

المدينة من ظلم وعسف في عهد كل من زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي[1] وخالد بن عبد الله القسري[2]، ويوسف بن عمر[3].

والذي يستعرض الأحداث المختلفة التي شهدتها مدينة الكوفة، ويقرأ تاريخ زعمائها وقادتها يتبين له أنها هي إحدى قلاع الشيعة، وأن سكانها قد كانوا أنصاراً لأمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وإن اختلفت درجة تشيعهم له، ومحبتهم إياه، وهذا هو السبب الذي من أجله وقع اختيار العباسيين عليها لتكون مقراً لنواب الإمام، ومبلغي أوامره ونواهيه إلى الدعاة ونقبائهم في خراسان. وقد يرد على البال هنا سؤال وهو: كيف يختار العباسيون الكوفة وهي مقر العلويين ومجمع أنصارهم لتكون المركز الثاني لنشر دعوتهم؟ والجواب: - فيما أرى - أن العباسيين لم يكونوا في بداية أمرهم يظهرون الدعوة إليهم وحدهم وإن كان ذلك قد كان سراً ائتمنوا عليه النواب والنقباء، وإنما كانوا يدعون إلى الرضا من آل البيت وذلك حتى تجتمع عليهم الكلمة ولا يقف أبناء عمهم العلويون من بداية أمرهم منهم موقف المخالفة والمعارضة.

---

(١) هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن متعب بن مالك بن كعب - من الأحلاف - الثقفي ولاه عبد الملك الحجاز ثم العراق فوليها عشرين سنة، وهلك بواسط سنة خمس وتسعين في شهر رمضان.
ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٩٥ - ٩٣٨.

(٢) هو خالد بن عبد الله القسري بن يزيد بن أسد بن كُرز البجلي ثم القسري، ولي العراق مدة من الزمن.
ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٣) هو يوسف بن عمر بن مهر بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود - ابن عم الحجاج - ولي اليمن لهشام بن عبدالملك ثم ولاه العراق.
ابن قتيبة: المصدر السابق، ص ٤٠٠.

وسبب ثان: وهو أن العباسيين لم يختاروا هذه المدينة لتكون حقلاً لدعوتهم ولا ميداناً لأشياعهم وأنصارهم، وإنما قصروا أمرها على جانب واحد وهو أن تكون مقراً لنواب الإمام الذين أنيط بهم توجيه الدعوة وقيادة الدعاة، والذين لم يزيدوا عن كونهم واسطة أو صلة لنقل أوامر الإمام وتوجيهاته.

المركز الثالث الحجاز:

والعباسيون لم يختاروا هذا المركز لكثرة أنصارهم فيه ولا لانطواء مريديهم على الحب لهم والعطف عليهم، فقد كان الأمر على العكس من ذلك تماماً، كما يقرر صاحب الآداب السلطانية، وإنما كان السبب في هذا الاختيار هو تدفق الناس إليه في موسم الحج، واختلاط حابلهم بنابلهم حول المناسك والمشاعر، مما يتيح الفرصة أمام من يريدون من شيعتهم من الالتقاء به والتحدث إليه من غير إثارة لأنظار الأمويين ولا دفع لهم إلى تتبعهم وتعقبهم، ومن أجل هذا فإن الشيعة لم يكونوا يأتون إلى هذا الإقليم إلا في موسم الحج، وإن اضطرتهم الظروف فإنهم كانوا يأتون هذا الإقليم في الأوقات التي يكثر تدفق المسلمين فيها إلى العمرة، وذلك مثل شهري رجب ورمضان.

ويبقى المركز الرابع وهو أهمها جميعاً، وأحراها بالبحث والدرس وهذا المركز هو:

المركز الرابع خراسان :

وقد وصفه صاحب معجم البلدان وصفاً جغرافياً فقال[1]: « خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق - وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد فيها نيسابور وهراة، ومرو وهي كانت قصبتها وبلخ وطالقان، ونسا وأبيورد، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك ».

وقد توجه اهتمام المسلمين إلى فتح هذه البلاد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[2] غير أن هذا الفتح لم يتم إلا في عهد ذي النورين عثمان - رضي الله عنه - وعلى يدي أمير البصرة آنذاك وهو عبدالله بن عامر بن كريز الذي كان كذلك أول وال من قبل الخلافة الإسلامية. وهذه لمحة جغرافية وتاريخية موجزة عن خراسان. والسؤال الذي يعرض للباحث الآن هو: ما هي الأسباب التي من أجلها اختارها العباسيون لتكون حقلاً لدعوتهم، ومجمعاً لأنصارهم وشيعتهم، ومنطلقاً لجنودهم الذين سوف يجتاحون بهم دولة بني أمية؟

والجواب: أن المؤرخين قد ذكروا أسباباً كثيرة لهذا الاختيار بعضها

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٣٥٠.
البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ١، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٢) ياقوت: معجم البدان، جـ٤، ص ٣٥٠ - ٣٥٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٧، ص ٦١ - ٦٤.

راجع إلى طبيعة هذا الإقليم[1] فهو إقليم جبلي واسع يصعب على الأمويين السيطرة عليه، وإخضاع الأعداء إذا هم أشعلوا نيران الثورة فيه. وهو بعيد عن مركز الخلافة[2] وقبضتها القوية التي ترهب خصوم الدولة ونعاة العبث والانتقاد. وبعضها راجع إلى عقائد[3] أهله وما نشؤوا عليه. ومن ذلك ما كانوا يؤمنون به من قداسة الدماء الملكية وطهارتها، وأن الحكم حق لمن تجري فيهم هذه الدماء، ويتوارثه الأبناء منهم عن الآباء، وقد كان هؤلاء ينظرون إلى الخلافة كما ينظرون إلى الملك، فهي في رأيهم إرث خالص لأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يتنازعون عليه ولا يمارون فيه.

وثمت أسباب أخرى كثيرة منها: ما هو عائد إلى الحياة[4] السياسية التي يحياها الفرس عامة والخراسانيون خاصة، فقد دخلت هذه الأمم الإسلام الذي كان يسوي بين الناس كافة، ولم يكن فيه فضل الجنسٍ على جنس، ولا لعنصر على عنصر إلا بالتقوى، وقد ذاق الفرس حلاوةً هذه المساواة وتفيؤوا ظلها الوارف أيام الراشدين، فلما جاءت دولة بني أمية

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٥٨، الناشر: مكتبة الحياة - بيروت - لبنان - طبعة ١٩٧٩م.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٩٩.
شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٣، ص ٣٧.

(٣) العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ص ١٢٢، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، عالم دراسات في تاريخ العرب العصر العباسي الأول، ص ٣٤، الناشر: مؤسسة ثياب الجامعة.
الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ١٤، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، طبعة ١٩٧٠م.

(٤) الخضري: المرجع السابق، ص ١٤.

آذتهم واضطهدتهم وجعلتهم في الصف الثاني من المواطنين، ولم تسَوِّ بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات حتى الجزية التي لم يكن يدفعها غير أهل الذمة فإن حكومة بني أمية قد كانت تأخذها حتى ممن دخل منهم في الإسلام. والذي يراجع صحائف التاريخ يرى الكثير من صنوف الظلم والعسف التي كانت تصب على رؤوس الموالي صباً، من أجل هذا مقت أهل خراسان الحكم الأموي وتاقت نفوسهم إلى الخلاص منه ولم يترددوا في الاستجابة لكل من يدعوهم إلى نقضه وتغييره.

وسبب ثان: مرجعه إلى اللياقة البدنية[1] لهذا الشعب وقدرته على حمل أعباء الجهاد ورفع عقيدته. هذا فضلاً عما جبلوا عليه من الانقياد لمن يستجيبون له ويضعون أيديهم في يده.

وأخيراً وليس آخراً هذا السبب وهو[2] اشتعال نار العصبية القبلية بين اليمانية والنزارية في خراسان، وهي فرصة لو اهتبلها سياسي ماهر لاستطاع أن يضرب العرب بعضهم ببعض في هذا الإقليم، وأن يقضي عليهم بعد ذلك لصالح من يدعو إليهم ويعمل من أجلهم. وقد كان الأئمة العباسيون على وعي كاف بأحوال الدولة آنذاك وما يصلح من أقاليمها للدعوة وما لا يصلح. وأنت ترى هذا واضحاً في هذا الحديث الذي أفضى به محمد بن علي بن عبدالله بن عباس إلى النفر الذين أسند إليهم مهمة الدعوة فقد جاء

---

(١) شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٣، ص ٣١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٢٨٥ - ٢٩٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٣٢.

فيه ما نصه[1]: « أما الكوفة وسوادها فهي شيعة علي وولده، والبصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة راسخة وجهل متراكم، وأما مكة والمدينة فغلب عليها أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بأهل خراسان فإن هناك العدد الكبير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة لم تتقاسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل، ولم يقم عليهم فساد، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل، وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ».

فقد أوضح محمد بن علي السبب الذي من أجله آثر خراسان على غيرها لتكون حقلاً للدعوة وميداناً للصراع بينهم وبين بني أمية وهو: أنه ما من إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية إلا وفيه ما يحول بينه وبين اختياره، فالشام مقر أنصار الأمويين وشيعتهم، والجزيرة ميدان الخوارج ومجال مذهبهم ونحلتهم. وهكذا وصف كل إقليم بما لا يسمح باختياره له ونشر دعوته فيه.

أما خراسان فقد وصف أهلها بالجلد وكثرة العدد وسلامة القلوب من المذاهب والنحل التي تشتت أمرهم وتفرق صفهم، فهم إذاً لفراغ ضمائرهم

(١) ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٥٢.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٢٤.
الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ١٤.
العمرو: أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ص ١٢١ - ١٢٢.

وخلو أفئدتهم أصلح البيئات التي تغرس فيها دعوتهم، وينمو فيها حبهم والانقياد لهم. ولا جدال فيما يشير إليه هذا النص من العمق السياسي، والمعرفة الواسعة لشتى أحوال المسلمين والظروف المحيطة بهم والمؤثرة فيهم، وإذا عرفنا أن محمداً[1] هذا هو أول إمام رسمي للعباسيين، وأول منظم لدعوتهم تبين لنا كيف أن هؤلاء الأئمة قد كانوا على وعي ودراسة مكنتهم من إحكام خطتهم، وتدبير دعوتهم حتى بلغوا الغاية وأدركوا الهدف.

(جـ) الجهاز السري للدعوة:

والآن وقد عرفنا مراكز الدعوة الأربعة وأمطنا النقاب عن الأسباب التي كانت وراء اختيار كل واحد منها، فقد آن لنا أن ننتقل إلى النقطة الثانية وهي الجهاز المسؤول عن إدارة الدعوة ونشرها. ولا خلاف بين الباحثين في أن العباسيين قد أقاموا جهازهم السري على المستوى نفسه الذي تم على أساسه اختيارهم لمراكز الدعوة الأربعة، فهو يتألف من أربع حلقات بعضها

---

(١) محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، ولي إمامة الهاشميين سراً في آواخر أيام الدولة الأموية، وكان مقامه بأرض الشام والمدينة، ومولده بها في قرية تدعى الحميمة، وبدأ دعوته سنة ١٠٠هـ، وكانت وفاته في مستهل ذي القعدة سنة مائة وخمس وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان بين وفاته ووفاة أبيه علي سبع سنين.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٢٢٧.

الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٢.

المقريزي: مخطوطة منتخب التذكرة، ص ٨٧.

الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص ٢٧١، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، الناشر: دار العلم للملايين.

فوق بعض وهو يحيط كل حلقة منها بما يحميها ويحول بينها وبين المخاطر التي يمكن أن تعترض طريق سيرها، وهذه الحلقات الأربع هي:

الإمام ونائبه في العراق، ونائبه في خراسان، والنقباء الاثنا عشر، والدعاة، وهم سبعون بما فيهم نقباؤهم المشار إليهم من قبل. ولكي يتضح هذا الجهاز وتتميز كل حلقة منه عن أخواتها فلابد من كلمة موجزة حول كل منها:

فإمام الدعوة: هو رئيس الجهاز وصاحبه والمتحدث باسمه، ومن تجب على الجميع طاعته والانقياد لأمره ونهيه، وقد تعاقب على هذه الوظيفة منذ ابتدائها في العام المكمل للمائة حتى قيام الدولة العباسية في العام الثاني والثلاثين بعد المائة ثلاثة وهم: محمد بن علي[1] بن عبدالله بن عباس، وابناه إبراهيم[2] وعبدالله[3] الذي لقب فيما بعد بالسفاح.

فأما محمد[4] فقد ولد في الحميمة، والمؤرخون لا يذكرون على سبيل

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، قام بالأمر بعد أبيه علي، توفي سنة ١٣٢هـ.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٥ - ٤٣٦.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

(٣) أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي، أوصى له أخوه إبراهيم بالأمر من بعده، وقد تولى أمور الخلافة في يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢هـ، وكانت وفاته بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص ٤٧ - ٤٧١.

(٤) الطبري: المصدرالسابق: جـ٧، ص ٢٢٧.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢.
الزركلي: الاعلام، جـ٦، ص ٢٧١.

التحديد الزمان الذي ولد فيه، غير أنهم يكادون يتفقون على أن وفاته قد كانت في الحميمة كذلك، وفي العام الخامس والعشرين بعد المائة، أو قبله بعام، أو بعده بعام، وأن عمره آنذاك ثلاث وسبعون سنة، وبعملية حسابية بسيطة نستطيع أن نعرف العام الذي ولد فيه وهو العام الحادي والستون، أو الثاني والستون، أو العام الذي يليه، غير أن هذا التحديد سوف ينفي ما ذكره المؤرخون من أن مولده قد كان في الحميمة وهو الحق. وذلك لأن العباسيين لم يكونوا قد دخلوا هذه القرية بعد وإنما كانت إقامتهم أو إقامة أكثرهم آنذاك في مكة.

وأيًا ما كان فإن محمداً هذا قد كان أول من تولى شؤون الدعوة في العام المكمل للمائة[1] وأنه قد كان على جانب كبير من العلم، فقد كان يروي الحديث، وكانت له دراية لا بأس بها في علوم عصره. وقد ينشأ هنا سؤال: وهو كيف تولى محمد الإمامة في حياة أبيه علي، وظل متربعاً على أريكتها حتى توفي والده في العام الثامن عشر بعد المائة؟

والجواب: أن ذلك راجعٌ إلى سببين:

أحدهما: أن علياً لم تكن لديه القدرة على كتمان سره وإخفاء أمره، فقد كان دائماً ما يبشر بأن الخلافة سوف تكون في أبنائه حتى أمام الخليفة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢. =
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤ ص ١٥٩.
الدينوري: الاخبار الطوال، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٣ - ١٤٦.
المقريزي: مخطوط منتخب التذكره، ص ٨١.

الأموي نفسه مما جعله يغضب عليه ويأمر بضربه بالسياط.

والسبب الثاني هو: أن العلاقة قد كانت سيئة بينه وبين الخلفاء الأمويين من بني مروان، الأمر الذي يجعله تحت الملاحظة الدائمة، والمراقبة المستمرة، وقد سبق وقلنا: إنه قد تزوج من مطلقة عبدالملك بن مروان، وأن الوليد بن عبدالملك قد كان يكرهه؛ لذلك قد عمل جاهداً على إلصاق تهمة قتل سليط بن عبدالله بن عباس به، الأمر الذي مكنه من جلده وحبسه ونفيه عن دمشق إلى الحميمة. وعلى كل حال فإن محمد بن علي قد لبث في منصب الإمامة ما يربو على خمس وعشرين سنة، فإليه إذن يرجع الفضل في بدئها وتنظيمها واختيار النواب والنقباء والدعاة فيها، وإليه يرجع الفضل كذلك في رسم منهجها وانتقاء مراكزها وإسدال السرية عليها حتى تمت واستغلظت واستوت على سوقها، وقد كان لما أعطاه الله لهذا الإمام من جمال الصورة وتوقد العبقرية، وسعة المعرفة وحلاوة الحديث وسلامة المنطق الأثر الطيب فيما أحرز من فوز وما حقق من نجاح.

وجاء بعده ولده إبراهيم[1] وهو أكبر أبنائه، ويظهر أن قيادة هذا الإمام للدعوة ووصوله بها إلى ما يقرب من النهاية قد صرف الرواة عن تتبع حياته منذ ولادته حتى استوى على أريكة الإمامة في العام الخامس والعشرين أو العام الذي يليه. فلم يذكروا متى ولد، ولا أين ولد، ولا كيف قضى سني طفولته وشبابه، وعلى العكس من ذلك تماماً كان حديثهم عنه منذ تولى شؤون منصبه كما سوف نوضح هذا ونحن نتابع أعماله، وقد يختلف

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٥ - ٤٣٧.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

المؤرخون في سبب وفاته في العام الثاني والثلاثين بعد المائة، وقد نقل لنا الطبري في ذلك ثلاث روايات إحداها: أنه لم يقتل وإنما هلك بالطاعون، وهذه هي رواية أحمد بن زهيرة والروايتان الثانية والثالثة قد رواهما عمر بن شبه وقد ذكرت الأولى: أن مروان بن محمد قد أدخله بيتًا وهدمه عليه، وذكر في الثانية أنه قد دس له السم في اللبن.

والذي يتتبع ما سجله رواة الطبري يتبين له أن الرجل قد اغتيل ولم يمت حتف أنفه والدليل على هذا: أن مروان لما اكتشف أمره واطلع على خبء سره جد في البحث عنه حتى قبض عليه، وليس من المعقول وقد ظفر مروان بضالته أن يدعها تفلت من يده، بل إن حزمه ويقظته وسرعته في البطش بخصومه كل ذلك يدفعه دفعاً إلى قتله والاستراحة منه.

ولا خلاف بين الباحثين من أن إبراهيم الإمام[1] قد كان أحد دهاة بني العباس وعباقرتهم، فإليه يرجع الفضل في انتقال الدعوة من المرحلة السرية إلى مرحلة الجهر والعلن، وإليه يرجع الفضل كذلك في المقاومة المسلحة التي أجهزت على الحكم الأموي في خراسان وفارس وامتد زحفها حتى ابتلعت الدولة بأكملها.

وأخيراً وليس آخراً فإن الفضل يرجع إلى إبراهيم في اختيار كلٍ من

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٣٦ - ٤٣٧.
إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، قام بالأمر بعد أبيه محمد بن علي وكان أكبر ولده.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٩.

أبي مسلم[1] الذي مهد الأمر لبني العباس في خراسان، وقحطبة بن شبيب[2] الذي تولى قيادة جيوشها المظفرة حتى أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الكوفة. وجاء الإمام الثالث وهو أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس[3] ولا خلاف بين الرواة في أن مولده قد كان في الحميمة وفي العام الرابع بعد المائة، ولا خلاف بينهم كذلك في أن أخذه بمقاليد الإمامة قد كان في السنة الثانية والثلاثين بعد المائة وفور هلاك أخيه إبراهيم، والرواة[4] يذكرون أنه لما توجه الجند بإبراهيم إلى مروان بن محمد خرج أبو العباس هذا هو وأهله قاصدين الكوفة، وكانت الدولة الأموية تلفظ آخر أنفاسها، وكان أبو سلمة الخلال[5] هو يومئذ نائب الإمام على العراق، وكان الشيعة شديدي الثقة فيه والاطمئنان إليه حتى لقد كانوا يلقبونه وزير أهل البيت، والذي يراجع روايات الطبري[6] وغيره يلاحظ: أن أبا سلمة هذا لم يكن مستريحاً إلى إسناد الإمامة إلى أبي العباس، ولست أدري على سبيل اليقين ما هي الدوافع والأسباب التي جعلته يقف منه هذا الموقف، ولا يخلو الأمر - فيما أرى - من سببين:

أحدهما: أن أبا سلمة قد كان غير مستريح إلى أن إبراهيم قد أوصى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٣.
اليماني: كنز الأخبار: ص ١٢٥.
الإسفراييني: الفرق بين الفرق، ص ٢٥٦.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم، والملوك، جـ٧، ص ٢٩٤ - ٢٩٥.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٧٠ - ٤٧١.
(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٣.
(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٢٣٤.
(٦) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٣.

بالإمامة من بعده إلى أخيه لأنه قد قتل كما سبق وأشرنا غيلة ولم يكن معه من خاصته من يأتمنه على الاحتفاظ بهذا السر ونقله إلى أهل بيته في الكوفة.

والسبب الثاني هو: أن أبا سلمة لم يكن مقتنعاً بأن أحداً من البيت العباسي يستحق أن يلي هذا المنصب بعد إبراهيم؛ ولهذا فإنه قد فكر في إخراج الأمر منه وإسناده إلى أحد أعضاء البيت العلوي[1] وهذا السبب - فيما أرى - هو الراجح وذلك لأمرين:

أحدهما: أن أبا سلمة قد كان من الكوفة وأهل هذه المدينة قد أشربوا حب عليٍّ وذريته وتشيعوا له، **والأمرالثاني**: أن أبا سلمة قد كتب بالفعل إلى ثلاثين من أفراد البيت العلوي وهم: جعفر بن محمد الصادق[2] وعمه عمر الأشرف بن زين العابدين، وابن عمه عبدالله بن المحض بن حسن بن علي ابن أبي طالب، ولأن جعفراً وعمر كليهما قد رفضا هذا الكتاب، وتردد عبدالله المحض فيه فإن عزم أبي سلمة في تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين قد فتر، وإن كان قد ماطل السفاح وضايقه وكتم أمره وأمر أهل بيته حتى اضطر في النهاية إلى مبايعته أمام عناد أبي الجهم ومن أوى إليه[3] من الشيعة وإصرارهم على بقاء الإمامة في بيت العباس والسفاح. وإن كان قد حمل عبء الإمامة بعد أن مهد لها أبوه محمد وأخوه إبراهيم، ولم يأخذ بمقاليدها إلا في العام الثاني والثلاثين بعد المائة[4]. فإنه قد أظهر الكثير من

---

(١) انظر نص الخطاب في: ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ابن طباطبا: المصدرالسابق، ص ١٥٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٤) الطبري المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٩.

الكياسة وحسن السياسة في الفترة الصغيرة التي تولى فيها شؤون الإمامة. فإليه يرجع الفضل في بقاء الشيعة على وحدتهم[1] في الكوفة على الرغم من الفتنة التي كان يريد إشعال نارها أبو سلمة الخلال. وإليه يرجع الفضل كذلك في إدخال ابن هبيرة في السلم[2]. واستيلائه على واسط وهي آخر المعاقل الأموية في العراق.

وكما تولى منصب الإمامة ثلاثة، فقد تولى منصب النيابة في العراق ثلاثة كذلك أولهم أبو رباح ميسرة العبدي[3] وعلى الرغم من أن هذا الرجل قد تولى شؤون منصبه خمسة أعوام، وأنه قد رافق الدعوة منذ بدايتها في العام المكمل للمائة، فإن المؤرخين لا يعرفون عن أخباره غير أنه كان نبالاً وأن محمداً الإمام قد أرسله من أرض الشراة إلى الكوفة في العام المكمل للمائة وأنه قد أرسله إلى خراسان في العام الثاني[4] بعد المائة للدعاء إلى بني العباس، وأن وفاته[5] قد كانت في العام الخامس بعد المائة، وحتى هذه النقطة الأخيرة فإن المؤرخين لم ينصوا عليها نصاً، ولم يفصحوا عنها إفصاحاً، وإنما هي مستنتجة من سير الحوادث وتتابع الظروف. وهذا القدر الذي ألمعنا إليه لا يكفي للحديث عن رجل مثل ميسرة، فما هي العلة التي من أجلها أغفله التاريخ هذا الإغفال؟ ويبدو لي أن إحاطة العباسيين للدعوة

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٥٠ - ٤٥٧.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢، جـ٧، ص ٢٦.
المقريزي: منتخب التذكره، ص ٨١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٥) الطبري: المصدرالسابق، جـ٧، ص ٢٦.

والدعاة في هذا الوقت بالسرية التامة والتكتم الشديد قد كان هو السبب الرئيس في قلة ما وعته ذاكرة التاريخ عن هذا الداعية الكبير، وقد شاء الله ألا يموت ميسرة حتى يسهم في التعرف على خلفه، وكشف النقاب عنه وهو أبو هاشم بكير بن ماهان[1]. ويقول المؤرخون: إن هذا الرجل قد كان مترجماً للجنيد بن عبدالرحمن عامل الأمويين على السند، وأنه قد اكتسب في هذه البلاد أموالاً كثيرة، وعاد إلى العراق ومعه خمسة قوالب إحداها من الذهب، والأربعة الأخرى من الفضة، وأن هذه العودة قد كانت في السنة الخامسة بعد المائة. وقد اتصل[2] به ميسرة العبدي، وابن خنيس وغيرهما وما زالوا به حتى أدخلوه في دعوتهم. ويظهر أن إيمان بكير هذا بحق العباسيين في الخلافة قد كان عميقاً، فقد أنفق ماله كله على كثرته في سبيل الدعوة، وكان إذا جاءته صحيفة من الإمام غسلها وعجن بمائها طعاماً لنفسه ولأهل بيته[3]. وقد كان هذا الحب والتفاني في الإخلاص للدعوة هو السبب الذي من أجله عهد الإمام محمد بن علي إلى بكير بالنيابة عنه في العراقَيْن وجعل إليه أمر الدعوة والدعاة في خراسان تماماً كما كان الحال مع ميسرة النبال. وقد حمل الرجل أعباء مركزه في عزم منذ أسند إليه في العام الخامس[4] بعد المائة حتى غادر هذه الدنيا في العام السابع والعشرين بعد

(١) أبو هاشم بكير بن ماهان الحارثي، أحد دعاة بني العباس، قدم البلقاء من أرض الشام.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.
اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣١٩.
ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق الكبير، جـ ٣، ص ٢٩١.
ابن طباطبا الفخري: في الآداب السلطانية، ص ١٥٤.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٣.

(٣) الدينوري: المصدرالسابق، ص ٣٣٤.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٦، ص ٢٥ - ٥٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ١٩٢ - ١٩٣.

المائة[1]. فكان يتلقى الكتب من الدعاة ليوصلها إلى الإمام، وليس هذا وذاك وحسب وإنما كان إليه أمر النواب في خراسان، وكان إليه كذلك قبض صدقات الشيعة لتوصيلها إلى الحميمة إلى آخر الأعباء الكثيرة التي ينوء بها أولو العزم من الرجال. وقبل أن يغادر بكيرٌ هذه الحياة أوصى بالأمر من بعده إلى أبي سلمة حفص بن سليمان[2]. ولأن ثقة الإمام به قد كانت عظيمة فإنه قد أقر هذه الوصية وقلد هذا الرجل منصب النيابة في العراق. ويقول: المؤرخون: [3] إن السبب في هذا الاختيار هو المصاهرة التي كانت بين بكير وبين أبي سلمة.

وأيًا ما كان فقد كان أبو سلمة من المياسير، وكان ينفق أمواله في سخاء على الدعوة والدعاة، ولنشاطه وثقة إبراهيم الإمام فيه وحظوته لديه أطلق عليه اسم وزير أهل البيت[4] وهو أول من حمل هذا اللقب من الشيعة، أما وصفه بالخلال[5] فلقرب منزله من المكان الذي كان يقيم فيه الخلالون، أو لأنه كان خلالاً يبيع الخل، أو أن النسبة إنما هي إلى خلل السيوف وهي: القوارب والأغماد، ويظهر أنه قد كان يشارك في صناعتها، أو الاتجار فيها،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٢٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٢٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٢٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩١.

(٣) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٤.

(٤) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٣.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص ١٩٥.

(٥) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥٣ - ١٥٤.

وقد بقي أبو سلمة موالياً للبيت العباسي حتى هلك إبراهيم، وبعد ذلك أراد أن يحول الأمر عن هذا البيت إلى البيت العلوي[1]. وقد ذكرت فيما مضى أن هذا التحول إنما كان لسببين: أحدهما: أن أهل الكوفة قد كانوا شيعة لعلي، والثاني: أنه لم يكن مستريحاً إلى أن إبراهيم الإمام قد أوصى إلى أخيه أبي العباس السفاح. وسواء أصح هذا أو لم يصح فإن هذا التحول قد أسخط عليه السفاح[2] وجعله يكتب إلى أبي مسلم يستشيره في قتله، ومن الرواة[3] من يرون أن أبا مسلم هو الذي دبر لاغتياله، وأن أبا العباس قد صفح عنه، وذكر ماضيه في نشر الدعوة والتمكين لها. ويبدو لي أن هذا الخلاف إنما هو خلاف لفظي فإن زياداً أبا محمد هو أول من أرسله الإمام للقيام بأمر الدعوة في خراسان، وإن حرب بن عثمان هو أول من حمل كتابه إلى أهالي هذه البلاد، وأيًا ما كان فإن حياة زياد أبي محمد انتهت بالقتل وذلك في العام التاسع بعد المائة[4] وفي ولاية أسد بن عبدالله القسري على سبيل التحديد.

وقد تولى أمر الدعوة من بعده كثير الداعي[5] وهو رجل من أهل الكوفة، وقد نزل أول ما نزل على أبي النجم وهو أحد النقباء الاثني عشر، ولأنه قد كان أمياً، وكان محدود القدرة على استقطاب الناس والتأثير فيهم، فإن أخذه بأزمة الدعوة لم يستمر إلا عاماً أو عامين، فقد

---

(١) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٤٨ - ٤٥٠.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٥٠.

(٥) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥١.

أتاه عمار بن يزيد في قرية اسمها مرعم، وغلبه وتولى الأمر دونه.

وعمار بن يزيد[1] هذا هو أحد الشيعة في الكوفة، وقد وجهه بكير بن ماهان، وهو نائب الإمام في العراق للقيام على شؤون الدعوة في خراسان وقد نزل أول ما نزل - مرو - وكان في بداية أمره صادقاً في الدعوة إلى بني العباس، وأميناً على مبادئها وأسرارها، غير أنه ما لبث أن تنكر للدعوة وخان مبادئها ودعا إلى دين الخرمية[2] ورخص لبعض أتباعه في نساء بعض، وأخبرهم أن ذلك عن أمر من محمد بن علي، وحتى اسمه الذي كان معروفاً فإنه قد غيره وأطلق على نفسه (خداش). وقد كانت نهايته على يدي أسد بن عبدالله القسري فإنه لما بلغه ما يدعو إليه وضع الجواسيس عليه وما زال حتى أحضره إليه وسأله عما يقول، وبدلاً من أن ينكر ما يدعيه ويدعو الناس إليه، فإنه أغلظ له وأساء الجواب في حضرته؛ ولأن أسداً قد كان متوجهاً لغزو بلخ، فإنه أمر به فقطعت يده وقلع لسانه وسملت عيناه، ثم قتله وصلبه فور عودته.

جاء في الطبري أن قيامه بشؤون الدعوة ورئاسة الدعاة في خراسان قد كان في السنة الخامسة عشرة بعد المائة، وأن قتله وصلبه قد كان بعد ذلك بثلاث سنين وفي السنة الثامنة عشرة على سبيل التحديد.

وإن كنت أوافق الطبري على العام الذي كانت فيه نهاية هذا الرجل،

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٠١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩.
وابن عساكر: تاريخ ابن عساكر، جـ٣، ص ٢٩١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩

فإني لا أستطيع أن أطمئن إلى ما كتبه حول العام الذي كانت فيه بدايته. وذلك لسببين: **أحدهما**: ما قرره هذا المؤرخ نفسه من أن خداش[1] قد غلب كُثَيِّراً على أمره، وقام بالدعوة بدلاً منه، وإذا عرفنا أن كُثَيِّراً هذا قد تولى أمر الدعاة فور مقتل زياد بن محمد الذي كان في السنة التاسعة بعد المائة وأنه قد بقي في منصبه عاماً أو عامين، وتبين لنا أن قيادة خداش للدعوة قد كانت في السنة العاشرة أوفي السنة التي تليها.

والسبب الثاني: وهو أن إرسال بكير بن ماهان خداش إلى خراسان قد كان في السنة التاسعة بعد المائة، كما جاء عند هذا المورخ نفسه، وعلى هذا الأساس فإن خداشاً يكون قد أقام بمرو ما شاء الله، ثم نزل على كثير في قرية تدعى مرعم في نهاية العام التاسع، وكانت المنافسة بينهما حتى غلبه على منصبه في العام العاشر أو في العام الذي يليه. وسواء أصح ما ذهبت إليه من أن خداشاً قد تولى شؤون الدعوة في خراسان قبل العام الذي حدده الطبري بكثير أو لم يصح، وكان الذي ذهب إليه هذا المؤرخ الكبير هو الحق فإن الواجب العلمي يحتم عليَّ أن أقف هنا متأنية لمناقشة ما كتبه يوليوس فلهوزن[2] حول العلاقة بين العباسين وبين عمار بن يزيد أو خداش كما كانوا يسمونه، فقد ادعى هذا المؤرخ الكبير أن العباسيين لم يكونوا يبالون بالدين في سبيل نجاح الدعوة وبلوغ الهدف والغاية، ولو لم يكونوا كذلك لما تركوا خداشاً يدعو إلى الخرمية ويرخص لبعض أنصاره في نساء بعض، بل لكذبوه وعزلوه وحذروا منه أو أحلوا غيره محله، والواقع أن الحق شيء وما

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٥١.

(٢) فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

ادعاه هذا المستشرق شيء آخر. فإن العباسيين قد كانوا أمناء على الدين وكان لهم في نشره والتقيد بمبادئه دور لا سبيل إلى إنكاره، ويكفي أن نذكر هنا إمامة جدهم عبدالله بن عباس في الحديث والتفسير وغيره حتى أطلق عليه حبر الأمة، وهذا الزهد والإغراق في العبادة الذي عرف به جده الثاني علي حتى سمي السجاد. أما ما كان من خداش فقد كان على غير علم من الإمام محمد ودون أمره وتوجيهه، وقد يقال هنا لماذا إذن لم يعزل الإمام خداشاً ويقيم غيره مقامه؟ والجواب: أنه لم يعزله لأنه لم يبلغه ما كان منه، أو لأنه خشي إن هو عزله وأحل غيره محله أن يدور الجدل عنيفاً بينهما، ومن الجائز أن يفضي خداش بما علم من أسرار الدعوة وقيادتها فيفتضح أمرها، وينكشف سرها، وحين إذ يجهز الأمويون عليها وعلى قادتها.

والدليل على أن الإمام محمداً لم يكن راضياً عما فعله خداش ما رواه الطبري[1] وغيره من غضبه على أنصاره في خراسان وحجبه رسائله عنهم ثم إرساله رسوله إليهم بعصيان مضببة ليعلموا أنهم قد عصوا وأنهم جديرون باللوم والعقوبة. وتبقى نقطة أخيرة وهي ما ذكره الطبري[2] من أن عمار بن يزيد هو الذي سمى نفسه خداشاً. وعندي أن الأمر ليس كذلك وإنما الناس هم الذين أطلقوا عليه هذا الاسم لخدشه للدين وانحرافه عن مبادئ الدعوة العباسية وأهدافها.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٤١ - ١٤٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٩.

وحاصل ما ذكرناه في هذه الحلقة من الحلقات السرية الثلاث هو: أن نواب الإمام في خراسان قد كانوا ثلاثة وهم: أبو زياد محمد، وكثير الداعي، وعمار بن يزيد وثم نائب رابع وهو أبو مسلم الخراساني، غير أني رأيت أن أرجئه إلى حين حتى أنتهي من الحديث عن الحلقة الرابعة والأخيرة وذلك لسببين: **أحدهما**: طول الكلام عنه، **والثاني**: أنه هو الذي أخذ بأزمة الدعوة في خراسان حتى بلغت الغاية وأدركت الهدف وسقطت الدولة الأموية تحت سنابك خيول بني العباس.

وإذن فقد آن الأوان للحديث حول الحلقة الرابعة وهي: حلقة النقباء وهم: اثنا عشر، ثمانية من العرب، وأربعة من الموالي، وقد اختلفت بعض أسمائهم في رواية الطبري في العام المكمل للثلاثين[1] عنها في روايته في العام المكمل للمائة[2]. غير أن هذا الاختلاف فيما أرى لا ثمرة له لأنه لا يعدو وضع اسم مكان آخر، أما الأشخاص فهي واحدة في كلتا الروايتين. والنقباء العرب الثمانية هم: موسى بن كعب التميمي[3] والقاسم بن مجاشع بن تميم[4] ولاهز بن قريط التميمي[5]

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥٦٢.

(٣) موسى بن كعب بن عيينة بن غادية بن عمرو بن سرى بن كعب بن غادية بن زيد بن الحارث بن امرئ القيس بن زيد مناه.
ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢١٤.

(٤) القاسم بن مجاشع بن تميم بن حبيب بن عبيد بن عامر بن مالك بن عرعره بن امرئ القيس.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٥) لاهز بن قريظ بن سرى بن الكاهن بن زيد بن عصبه بن امرئ القيس.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٢١٤.

وخالد بن إبراهيم[1] وقحطبة (زياد بن شبيب)[2] ومالك بن الهيثم[3] وطلحة بن زريق[4] وسليمان بن كثير[5].

والذي يمعن النظر في هؤلاء يلاحظ أن النقباء الأربعة الأول قد كانوا من مصر، وأن الآخرين قد كانوا من اليمن.

ويبقى النقباء الأربعة الآخرون، وهؤلاء قد كانوا من الموالي وهم: عمران بن إسماعيل أبو النجم[6] شبل بن طهمان[7] عمرو بن أعين[8] وعيسى بن أعين[9].

---

(١) أبو داود خالد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مقبل بن الحارث، وهو من بني عمرو بن شيبان بن ذهب بن ثعلبة.
ابن حزم: المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٢) قحطبة بن زياد بن شبيب الطائي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٩.

(٣) أبو نصر مالك بن الهيثم الخزاعي.
اليعقوبي: تايرخ اليعقوبي، ص جـ٢، ص ٣٤٣.

(٤) أبو منصور طلحة بن زريق بن أسعد الخزاعي.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ١٠٧.

(٥) سليمان بن كثير الخزاعي، شيخ نقباء بني العباس.
الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٧.

(٦) عمران بن اسماعيل أبو النجم الطائي، مولى لآل أبي معيط.
الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٧) أبو علي شبل بن طهمان الهروي، مولى لبني حنيفة.
ان الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ١٥٩ - ٢١٠.

(٨) أبو حمزة عمرو بن أعين مولى خزاعة.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٩) أبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة.
الطبري: المصدر الصابق، ص جـ٦، ص ٥٦٢.

ويبقى الدعاة الذين جعل عليهم هؤلاء النقباء، وقد أجهدت نفسي في سبيل التوصل إليهم والتعرف عليهم، غير أنني لم أجد لهم ذكراً في المصادر التي بين يديَّ، ويبدو أن المؤرخين لم يسجلوا أسماءهم وذلك لسببين **أحدهما**: أن العباسيين قد أسدلوا عليهم ستاراً كثيفاً من السرية والخفاء حتى لا يفتضح أمرهم ولا تنكشف أخبارهم. **والسبب الثاني**: أن هؤلاء الدعاة قد كانوا يؤثرون العمل في تكتم وكراهية منهم للشهرة، وإيثاراً للمثوبة من الله تعالى من أجل الانتصار لأهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - وإعادة ما سلب من حقوقهم إليهم.

ونظرة فاحصة إلى هذا الجهاز السري وحلقاته الأربع تؤكد لنا مهارة العباسيين في التخطيط لدعوتهم وبراعتهم التي لا نظير لها في رسم الطريق إلى تحقيق أهدافهم وغايتهم. ومن المؤرخين[1] من يستكثر هذه الخبرة عليهم، ويرى أن هذا التخطيط العبقري لم يكن وليد الفكر العباسي، وإنما اليهود هم أصحابه أو أنه قد تم بمساعدة منهم على الأقل، ويستدلون على ذلك بهذا التنظيم الذي كان من موسى - عليه الصلاة والسلام - لبني إسرائيل فقد اختار من قومه سبعين وجعل عليهم اثني عشر نقيباً.

والحق أن ما يدعيه هؤلاء المؤرخون شيء وأن الصواب شيء آخر، فإن المصادر التي بين يدي لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن اليهود قد كان لهم مكان في هذه الدعوة وما كان من تنظيم موسى (عليه الصلاة والسلام)

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٢٩٧.

لبني إسرائيل فإن العباسيين قد عرفوه من القرآن الكريم، وعرفوه من السنة النبوية المطهرة كذلك. وعلى سبيل التحديد من بيعة العقبة الكبرى[1] فقد كان عدد الأنصارفيها سبعين أو اثنين وسبعين، وقد جعل النبي - ﷺ - عليهم اثني عشر نقيباً ثمانية من الخزرج، وأربعة من الأوس.

وبعد فقد أمطت النقاب في هذا الفصل عن استشراف العباسيين للخلافة، ثم كشفتُ النقاب عن مراكز الدعوة، وسلطت الأضواء على جهازها السري، وانتهيت إلى أن هذه المراكز أربعة وهي: الحميمة، والكوفة، والحجاز، وخراسان.

وأن الجهاز السري قد كان يتألف هو الآخر من حلقات أربع وهي الإمام ونوابه في العراق، ونوابه في خراسان، والدعاة، والنقباء. وإن التعاون قد كان وثيقاً بين هذه المراكز وبين الجهاز السري، وأنه قد كان وثيقاً كذلك بين الحلقات الأربع في هذا الجهاز، وأن هذا التعاون وهذه السرية قد كانت أحد الأسباب التي كتبت لهذه الدعوة النجاح في نهاية الأمر.

---

(١) اليعقوبي: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٢٩٧.

,

الفصل الثالث

الدعوة في مرحلتيها السرية والجهرية

١ - المرحلة السرية للدعوة

(أ) - تحديد وقت الدعوة وأسباب اختياره.

(ب) - مناقشة الروايات التي تناولت ابتداء الدعوة.

(جـ) - الدعوة بين سنة مائة وسنة سبع وعشرين بعد المائة.

(د) - اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه.

٢ - المرحلة الجهرية للدعوة.

- سير الدعوة ومناقشة الروايات التي رويت في ذلك.

والآن وقد أحطنا خبراً بالعلاقة بين العباسيين والأمويين، وأحطنا خبراً كذلك بمراكز الدعوة وجهازها السري فقد بقي علينا أن نصلت الأضواء على الخطوات التي خطاها العباسيون على طريق الدعوة في مرحلتيها السرية والعلنية حتى أدركت الغاية وحققت الهدف. وأول سؤال يدور أو يخطر في بال الباحث هنا هو: متى بدأت الدعوة العباسية، وعلى يدي مَنْ منَ الأئمة خرجت من دائرة الفكر إلى دنيا الحقيقة والواقع؟ والجواب بالنسبة للنقطة الأولى: أن المؤرخين[1] مختلفون في السنة التي كان فيها ابتداء الدعوة، فبعضهم يرى أنها هي السابعة والثمانون من هجرة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأن الذي كان على يديه ذلك هو علي بن عبدالله بن عباس، وبعضهم يرى أن ابتداءها قد كان في العام المكمل للمائة وأن الإمام لم يكن هو علي وإنما كان هو ولده محمد. وقد ألمعنا فيما مضى إلى أن علي بن عبدالله بن عباس[2] لم يكن هو الرجل الذي يستطيع الأخذ بأزمة الدعوة وذلك لأمرين:

أحدهما: أنه قد كان رجلاً خفيفاً لا يستطيع كتمان سره ولا إخفاء أمره وأنه كثيراً ما كان يعلن حتى أمام الخليفة الأموي نفسه أن الخلافة صائرة إلى أهل بيته، الأمر الذي أغضب عليه هشام بن عبدالملك وجعله يأمر بجلده بالسياط.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص٦١٦ - ٦١٧.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص١٥٩.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٣٢ - ٣٣٤.
المقريزي: منتخب التذكرة، ص٨٠ - ٨١.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية، جـ٩، ص٣٢١.

والأمر **الثاني هو**[1] أن العداوة قد كانت على أشدها بينه وبين عبدالملك وابنيه الوليد وسليمان من بعده وذلك لأنه قد تزوج من مطلقة عبدالملك وأطلق لسانه فيه، ومثل هذا الرجل لابد وأن يكون محاطاً برقابة شديدة من جانب الأمويين مما يجعل أخذه بأزمة الدعوة أمراً غير ميسور. وقد سبق وذكرت أن الوليد بن عبدالملك قد اتهمه بقتل أخيه سليط، وضربه من أجل ذلك وعذبه بالوقوف تحت الشمس المحرقة في فصل الصيف، ولم يكتف بهذا وذاك وإنما أمر به فأخرج من دمشق إلى الحميمة، وإذا تبين أن علي بن عبدالله بن عباس ليس هو الرجل الذي يصلح لتدبير شؤون الدعوة كان ولده محمد هو الإمام الذي كان ابتداؤها على يديه. ولكن لماذا كان العام المكمل للمائة هو الوقت الذي اختاره العباسيون لابتداء الدعوة؟ والجواب: أنهم قد حددوا ثلاثة أوقات[2] لذلك: **أحدها**: هلاك يزيد، **والثاني**: تمام المائة، **والثالث**: فتق أفريقيا. وقد مر الوقت الأول دون أن يخطو العباسيون الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومرجع هذا في تصوري إلى أن الأمة وإن كانت قد نقدت حكم يزيد وشجبت سياسته وكرهته من أجل البيت الأموي عامة والبيت السفياني على سبيل الخصوص، فإن هذه العداوة لم تلبث إلا قليلاً ثم زالت بهلاك هذا الطاغية، واجتماع أهل الشام على مروان بن الحكم، واستطاعة عبدالملك من بعده أن يوحد الصف الإسلامي بعد قضائه على كلٍّ من الزبيرين والخوارج، وتخضيضه لشوكة الشيعة.

---

(١) ابن كثير: المصدر السابق، جـ٩، ص ٣٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢١.

أما العام المكمل للمائة فإنه كان هو الوقت الأنسب لبدء الدعوة وخروجها من دائرة الفكر إلى دائرة الحقيقة والواقع وذلك لأسباب:

أحدها: أن هذا العام قد حل وعمر بن العزيز[1] - رضي الله عنه خليفة للمسلمين، ونحن نعرف أن هذا الرجل قد نشر العدل، وقاوم الظلم، وفتح باب الحرية على مصراعيه، وإذن فإنه هو الوقت الذي يمكن العباسيين من العمل من غير خوف، والانتشار من غير رهبة ولا رعب. **وسبب ثان**[2] وهو: ما رواه الثقاة من أن الله تعالى يجعل على رأس كل مائة سنة من المسلمين من يجدد لهم دينهم، ويبوئهم سلطانهم.

---

(١) استخلف عمر بن عبدالعزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين، وتوفي يوم الجمعة لخمس بقين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر.

الطبري: المصدرالسابق، جـ٦، ص ٥٥٠ - ٥٦٥.

(٢) الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٣٢.

١ - المرحلة السرية للدعوة :

(أ) تحديد وقت الدعوة وأسباب اختياره :

وقد ذاق المسلمون ما ذاقوا على أيدي بني أمية من الخسف والبغي، فإذا أشيع في الناس أن هذا المجدد قد ظهر كان الإقبال إليه أسرع، وكان الانقياد له أكثروأعظم، وقد كان بنو العباس يتلون في هذا قوله تعالى[1]: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ** ﴾

فهذه الآية الكريمة تحكي قصة عزير وكيف أن الله تعالى قد أماته مائة عام ثم بعثه ليجدد دعوة موسى (عليه السلام) ويزيل ما شابها وغلب عليها من التحريف والتغيير. وكذلك العباسيون مع بني أمية فإن الله تعالى قد بعث محمد بن علي على رأس هذا القرن ليزيل ظلم بني أمية، ويعيد إلى أهل بيت النبي - ﷺ - ما سلب منهم من حق، وما اغتصب منهم فيما يرون من الأخذ بمقاليد الحكم وأزمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وسبب ثالث : لا سبيل إلى إغفاله وهو أن العصبية القبلية والاضطراب الطائفي قد أخذا طريقهما إلى خراسان، وأنه إذا استغلت الأوضاع المضطربة التي كانت سائدة فيه لصالح الدعوة لنمت وأينعت واستوت على سوقها ولكي يتضح هذا السبب الثالث والأخير، فلابد من تسليط الأضواء على هذا الإقليم الذي اختاره العباسيون ليكون حقلاً للدعوة قبل ابتدائها بفترة كافية من الزمن.

(١) قرآن كريم: سورة البقرة، آية ٢٥٩.

والذي يستعرض الحوادث التي وقعت بساحته منذ هلك يزيد بن معاوية[1] حتى تربع عمر بن عبد العزيز على أريكة الخلافة. ويلاحظ أن العصبية القبلية التي اشتعلت نارها بين اليمنيين والمضريين في البصرة قد استشرت وامتد خطرها حتى ملأ خراسان، وقد أسهم ولاة العراق في تهيئة الجو الملائم لنمو هذه العصبية واستشراء نارها، فقد أسند الحجاج[2] بن يوسف الثقفي ولاية خراسان إلى المهلب بن أبي صفرة، فعمل هذا الوالي على التمكين لقبيلة الأزد وهي إحدى القبائل اليمنية، فقويت وازداد عددها ونفوذها حتى إن يزيد بن المهلب الذي تولى أمر هذه الولاية إثر وفاة أبيه قد كان يتعالى على الحجاج ويستنكف أن يكون تحت سلطانه وهو أزدي يمني، والحجاج قيسي مضري، وقد راح هذا الوالي المتعصب ينحاز إلى قبيلته ويعمل على إنزال الضرر بمضر. ويبدو هذا واضحاً في أن الثائرين على الحجاج من أهل العراق لما لجؤوا إلى خراسان عمد يزيد إلى المضريين فقبض عليهم ودفعهم إلى الحجاج لينالوا العقاب على خيانتهم. وعلى العكس من ذلك تماماً كانت معاملته لليمانيين فقد أطلقهم وتستر عليهم، وأمام هذا التعصب الواضح لم يجد الحجاج بدًا من عزله، وتعيين أخيه المفضل بدلاً منه. وقد يقال هنا لماذا أسند الحجاج هذه الولاية إلى المهلب وإلى أبنائه من بعده وهم يمنيون وهو قيسي؟ والجواب: أن الحرب قد كانت دائرة بين عماله وبين موسى بن خازم وأبيه عبدالله من قبله وهما من يحكم وهي إحدى قبائل

---

(١) كانت وفاة يزيد بن معاوية بقرية من قرى حمص يقال لها حوّارين من أرض الشام، لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٥، ص ٤٩٩.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

مضر، فكان من السياسة أن يبعث إلى موسى رجلاً من اليمن حتى لا يتهاون في حربه ولا يكف عن ملاحقته ومتابعته حتى يقتل أو يدخل في الطاعة، والدليل[1] على هذا أن المفضل بن المهلب لم يكد يقتل موسى بن خازم حتى عزله الحجاج وعزل المهالبة جميعاً، وأسند الأمر إلى قتيبة بن مسلم[2] أحد أبناء باهلة وهي أيضاً ليست قبيلة مضرية، والسبب في هذا هو أن سياسة أمراء العراق غالباً ما كانت تسند أزمة الأمور في خراسان إلى أحد أبناء القبائل الضعيفة، وذلك حتى تظل العلاقة وثيقة بينه وبين أميره فلا يفكر في مخالفته أو الانتقاض عليه وهذا هو ما كان، فإن سليمان بن عبد الملك لما غضب على الحجاج وأنصاره ومن بينهم قتيبة بطبيعة الحال، وفكر هذا الوالي في الخروج على بيعته، لم يغن عنه جهاده في قتال الأعداء وإنزال الهزائم المتلاحقة بهم، فقد تخلت عنه القبائل ولم يجد له من يقف إلى جانبه لا من اليمن ولا من مضر وكانت نهايته القتل، وعاد المهالبة مرة أخرى إلى خراسان ومضى يزيد في مضايقة مضر فأقصاهم عن المناصب المختلفة في ولايته وجعل عليها طائفة من أقاربه. وهكذا تهيأت الفرصة للصراع بين القبيلتين الكبيرتين في هذا الإقليم.

وكان هذا هو أحد الأسباب كما ألمعنا التي من أجلها اختار العباسيون العام المكمل للمائة موعداً لبدء الدعوة.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٣٥٨ - ٤١٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٤٢٤ - ٤٢٦.

(ب) مناقشة الروايات التي تناولت ابتداء الدعوة:

وقد سجل الطبري الظروف التي واكبت هذا الوقت الذي خرج فيه العباسيون من التفكير والتخطيط إلى العمل الجاد لتربعهم على أريكة الخلافة في روايات أربع :

إحداها : في أحداث السنة المكملة للمائة .

والثانية : في أحداث السنة الثانية بعد المائة .

أما الثالثة والرابعة : فقد ساق إحداهما في السنة المكملة للثلاثين بعد المائة، وساق الأخرى في السنة الثانية والثلاثين بعدها .

وخلاصة الرواية الأولى(١) أن الإمام محمد بن علي في السنة المكملة للمائة بعث ميسرة العبدي إلى العراق، وبعث محمد بن خنيس وحيان العطار، وأبا عكرمة السراج وهو (أبو محمد الصادق) إلى خراسان وأمرهم بالدعوة إليه وإلى أهل بيته، وأن هؤلاء الثلاثة قد لقوا من لقوا وعادوا بكتب من استجاب لهم إلى ميسرة الذي أرسلها بدوره إلى محمد ابن علي ومضت هذه الرواية فذكرت أن أبا محمد الصادق قد اختار سبعين داعية، وانتقى منهم اثني عشر نقيباً وهم الذين أوردت أسماءهم في الفصل السابق، وقد كتب الإمام محمد لهؤلاء كتاباً أوضح لهم فيه المنهج الذي سوف يسيرون على مقتضاه .

وخلاصة الرواية الثانية(٢) : أن ميسرة العبدي وهو نائب الإمام في العراق أرسل رسله في السنة الثانية بعد المائة إلى خراسان، لإظهار أمر

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢ .

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٦١٦ - ٦١٧ .

الدعوة بها، وأن هؤلاء قد امتثلوا للأمر، غير أنهم قد وقعوا في يدي الوالي وهو يومئذ سعيد الحرشي أو (سعيد خذينة) كما كانوا يسمونه وقد كاد أن يبطش بهم لولا أنهم ادعوا أنهم ما جاؤوا دعاة وإنما جاؤوا تجاراً، ولأن أكثرهم فيما يظهر قد كان من أهل اليمن فإن ربيعة واليمن كليهما قد توسطوا بينهم وبين الأمير حتى أطلق سراحهم.

وحاصل الثالثة[1]: وهي ما رواه الطبري عن أبي الخطاب في السنة المكملة للثلاثين بعد المائة أن الإمام قد بعث رسوله إلى خراسان في السنة الثالثة أو الرابعة، وأنه أمره بالدعوة إلى الرضا من آل البيت ورسم له المنهج الذي لا يسعه الانحراف عنه، وصدع الرسول بالأمر، ولما اكتمل الدعاة سبعين اختار منهم الإمام اثني عشر نقيباً.

وتبقى الرواية الرابعة[2]: وهي للمدائني وحاصلها أنه لما قتل يزيد بن أبي مسلم وانتقضت البربر أرسل الإمام رسولاً إلى خراسان، وأمره بالدعوة إلى الرضا من أهل البيت. ولا خلاف بين هذه الرواية وسابقتها في الوقت لأن قتل يزيد وانتقاض أهل أفريقيا قد كان في السنة الثانية أو الثالثة بعد المائة.

وبعد هذا العرض الواضح لهذه الروايات الأربع: يمكننا أن نقرر أن ابتداء الدعوة لبني العباس قد كان في السنة المكملة للمائة للأسباب التي أوردناها آنفًا. أما ما يدعيه صاحب البداية والنهاية وغيره من أنه قد كان في السنة السابعة والثمانين فقولٌ لا حجة له ولا دليل عليه.

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٦١٦.

ويبقى أن نتساءل إلى أي بيت كانت الدعوة أ إلى البيت العباسي وحده، أم إلى البيت الهاشمي على سبيل العموم؟ ومن الذي اختار النقباء الذين سوف يتسلمون مقاليد الدعوة في خراسان أهو الإمام محمد بن علي، أم هو أحد المخلصين من رجاله؟ وأخيراً ما هو الأسلوب الذي كان يلتزمه الدعاة في التعريف بمبادئهم واستقطاب الناس حولها، وهل كان لهم منهج يلتزمونه أم أن كل نقيب أو داعية قد كان يسير وفق ما يقتضيه وما تحتمه عليه الظروف؟ والجواب بالنسبة للنقطة الأولى: هو أن أكثر المؤرخين[1] يدعون أن الدعوة قد كانت للرضا من آل البيت من غير تحديد للشخص، ولا وصف للبيت، وحجتهم في هذا ما رواه الطبري عن أبي الخطاب، وأبي علي المدائني كليهما من أن محمد بن علي قد أمر رسله في خراسان بالدعوة إلى الرضا من أهل البيت، وحجة ثانية وهي أن عدم الإفصاح عن الشخص والبيت المدعو إليهما من شأنه أن يبقي على وحدة بني هاشم ويقطع الطريق على الخلاف والشجار بينهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يبقي هذه الدعوة سراً مستوراً عن بني أمية وأنصارهم في خراسان إذ لو عرفوا شخص الإمام أو بيته لجدوا في البحث عنه والقبض عليه فتخفق الدعوة وتجهض ولما تبلغ أهدافها بعد. ومع وجاهة هذا الرأي وسلامة منطقه فلست أجد في نفسي ميلاً إليه وذلك لأمرين:

أحدهما: ما رواه الطبري[2] في أحداث السنة المكملة للمائة وهو أن

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ١٥٩.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص ٥٦٢.

الإمام محمد بن علي أرسل ميسرة إلى العراق، ووجه محمد بن خنيس، وحيان العطار، وأبا عكرمة السراج، وأمرهم جميعًا بالدعاء إليه وإلى أهل بيته.

وثانيهما: ما رواه الطبري[1] في أحداث السنة التاسعة بعد المائة عن أبي علي المدائني وهو أن محمد بن علي أرسل زياداً أبا محمد إلى خراسان وقال له: ادعُ الناس إلينا وانزل في اليمن والطف بمضر، ونهاه عن رجل من أبرشهر يقال له غالبًا، وأن غالبًا يفضل آل أبي طالب ويدعو إليهم، وزياداً يفضل آل العباس ويدعو إليهم كذلك. ومعنى هذا أن الإمام قد أمر زياداً بالدعوة إليه، وإلى أهل بيته تماماً كما أمر رسله المذكورين من الرواية السابقة. وأن زياداً قد كان يدعو إلى بني العباس وكان غالب يدعو إلى بني أبي طالب. إذن فالروايات متناقضة حول هذه القضية، فبينما يقرر بعضها أن الدعوة قد كانت للرضا من آل البيت يقرر البعض الآخر أنها قد كانت إلى محمد بن علي وإلى البيت العباسي ولا حل لهذا التناقض في تصوري إلا بأن يقال إن الإمام محمد بن علي قد أطلع المخلصين من رجاله على حقيقة الأمر وهو: أن الدعوة له ولأهل بيته وأمرهم أن يفضوا بذلك إلى من يطمئنون إليه ممن سوف يشركونهم في إدارة أزمة هذه الدعوة. أما العامة ومن هم على مثل حالهم فينبغي أن يكون ذلك سراً مطويًا عنهم، وألا يعلموا إلا أن الدعاء للرضا من أهل البيت من غير تحديد، وعلى هذا الأساس يمكن الجمع بين هذه الروايات المتناقضة. وقد يقال إذا كان هذا صحيحاً فكيف أمر الإمام زياداً أبا محمد بالدعوة إليه وإلى أهل بيته في

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٩ - ٥١.

السنة التاسعة بعد المائة؟ والجواب: أن ذلك قد كان لضرورة حتمتها الظروف وهي أن غالباً قد كان يؤثر آل فاطمة ويدعو إليهم، فكان على زياد أن يصرح بهذا السر بصفة مؤقتة حتى تتغير الظروف التي اقتضاها وهذا هو ما كان. فإن الدعاء قد عاد إلى الرضا من آل البيت بعدما ذهب غالب وعادت الظروف إلى طبيعتها في خراسان.

وننتقل إلى النقطة الثانية: وهي عن اختيار النقباء الاثني عشر وما إذا كان ذلك عن طريق الإمام أم عن طريق أحد المخلصين والأعوان، وقد اختلف جواب الطبري بالنسبة لهذه القضية فيذكر في روايته[1] في أحداث السنة المكملة للمائة أن أبا عكرمة السراج وهو (أبو محمد الصادق) هو الذي اختار النقباء للإمام.

وفي روايته في أحداث السنة المكملة للثلاثين بعد المائة: يذكر أن الدعاة لما بلغوا سبعين اختار الإمام منهم اثني عشر نقيباً. ولا تعارض بين هاتين الروايتين إذا ما أُمعن النظر فيهما لأنه يمكن أن يقال إن أبا محمد الصادق عرض أسماء النقباء الاثني عشر على الإمام كما يقرر الطبري في الرواية الأولى، وإن الإمام قد وافق عليهم وأقر اختياره لهم، كما تقرر الرواية الثانية. وتبقى النقطتان الثالثة والرابعة فأما أولاهما: فهي حول الأسلوب الذي كان الدعاة يلتزمونه في استقطاب الناس إليهم وإغرائهم بمتابعتهم وموافقتهم، ويقول المؤرخون: إنهم كانوا يرتدون أزياء التجار ويتظاهرون بالتقوى والصلاح وإن قلوبهم قد أشربت حب النبي - عليه

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص ٥٦٢.

الصلاة والسلام - وأهل بيته، ثم يتندمون لما أصابهم من الأذى، وما صب على رأسهم من البطش والعذاب، وكيف أنهم قد احتملوا من ذلك ما لا يحتمله غيرهم. فأريقت منهم الدماء وضربت الرقاب، وحملت نساؤهم على الأقتاب من غير غطاء ولا وطاء حتى مزقوا كل ممزق وصاروا أحاديث تمشي بها الركبان ويحكيها الزمان للزمان. ويذكرون في هذا الحسين بن علي[1]، وزيداً وابنه يحيى وكيف قتل منهم من قتل، وصلب، وأحرق منهم من أحرق حتى النساء فقد كن تقتل أولادهن بين أيديهن وينازعن حليهن وثيابهن حتى ينزعن منهن ثم يتركن عاريات لا يسترهن ساتر ولا يحميهن حام، إلى غير ذلك مما كان يبكي العيون ويزيد الشجون ويفعم النفوس حزناً ولوعة. وكلما كان الداعي أبين وأفصح كلما كان تأثيره أشد وأوقع وكان كلامه أنكى وأوجع، حتى صارت القلوب مملوكة لهم يحركونها كما يشاؤون ويوجهون منها كما يريدون.

وتبقى النقطة **الرابعة والأخيرة**: وهي حول ما إذا كان لهؤلاء الدعاة منهج يسيرون عليه وخطة لا يسعهم مخالفتها والابتعاد عنها، أم أن الظروف هي التي كانت تقودهم وأن كل داعية قد كان يترك وشأنه فيما يراه أفضل في اجتذاب الناس واستقطاب أفئدتهم ونفوسهم، ولا خلاف بين المؤرخين في أن الإمام محمد بن علي قد وضع لهؤلاء الدعاة السبعين المنهج ورسم لهم الخطة، غير أن المصادر التي بين أيدينا لم تفصح عن شيء مما تضمنته كتب الإمام إلى هؤلاء الدعاة. غير أن الذي يتتبع أخبار أبي مسلم

---

(١) كانت موقعة كربلاء في سنة إحدى وستين.
الطبري: المصدر السابق، جـ٥، ص ٤٠٠ - ٤٦٧.

وغيره من وجوه الدعاة والنقباء يتبين له الكثير من وصايا الإمام في ذلك، وقد أمطنا النقاب عن شيء من هذا في الجواب عن السؤال السابق، وأوضحنا أن الدعاة كانوا يستغلون ظلم الأمويين للموالي من جانب واضطهادهم لأهل البيت وسلبهم حقوقهم من جانب آخر في إدراك ما كانوا يرمون إليه من غاية ويقصدون من هدف. يضاف إلى هذا وذاك لفت أنظار سكان هذا الإقليم إلى قداسة الدم الهاشمي وأن الحكم منوط بأهل هذا البيت على أساس أنه حق لهم، وأن خروجه من أيديهم ظلم لا ينبغي السكوت عنه ولا التقصير في إرجاعه إلى أهله، وقد كان تخفِّي الدعاة في أزياء التجار وأصحاب المهن والصناعات ينطلي في البداية على العمال الأمويين في خراسان. فقد روى الطبري[1] في أحداث السنة الثانية بعد المائة أن عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي قد أتى سعيد خذينة وقال له: إن هاهنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح، فبعث إليهم فأتى بهم فقال: من أنتم؟ قالوا: أناس من التجار؟ قال: فيم هذا الذي يحكى عنكم؟ قالوا: لا ندري، قال: جئتم دعاة؟ فقالوا: إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلاً عن هذا، فقال: من يعرف هؤلاء؟ فجاءه أناس من أهل خراسان، جلهم من ربيعة واليمن، فقالوا: نحن نعرفهم وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه، فخلى سبيلهم.

وواضح من هذه الرواية أن الدعاة قد كانوا يمارسون عملهم في حذر شديد وسرية تامة، وأنهم كانوا يمشون في أزياء التجار ويتظاهرون بالصلاح

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٦، ص٦١٦ - ٦١٧.

الذي لا يدع مجالاً للارتياب بهم ولا للشك فيهم، وأن التعصب القبلي قد كان هو أحد الأسباب التي أسهمت في تأمين سبيل هؤلاء الدعاة عليهم.

(جـ) الدعوة بين سنة مائة وسنة سبع وعشرين بعد المائة:

وقد تتبع الطبري وغيره الأحداث التي نزلت بساحة الدعوة منذ ابتدائها في العام المكمل للمائة حتى وضعت مقاليدها بين يدي أبي مسلم في السنة السابعة والعشرين بعد المائة، وإن كان هذا المؤرخ الكبير قد تخلى عن طريقته في ذكر الأسانيد أكثر هذه الفترة واعتمد على ذاكرته، ولست أدري على وجه القطع ما هو السبب الذي حدا به إلى سلوك هذه السبيل، وهل هو إغفال الرواة للدعوة في هذه الفترة لأنها كانت محاطة بالسرية التامة والكتمان الشديد، أم أن السبب في هذا هو أن كل ما كتب عن الدعوة في هذه الفترة قد فقد، وأن المؤرخين قد اعتمدوا على ما تتناقله ألسنة العامة وأفواه الجماهير. وأيًا ما كان فقد أوردنا فيما مضى في هذا الفصل ما ذكره الطبري وغيره حتى العام السادس بعد المائة، وفي العام السابع ذكر صاحب تاريخ الرسل والملوك[1] أن بكير بن ماهان وجه أبا عكرمة السراج، وأبا محمد الصادق، ومحمد بن خنيس، وعمر العبادي، في عدة من شيعهم ومعهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان. وأن رجلاً من هذه قد وشى بهم عند أسد بن عبد الله القسري فقبض على عامتهم ومنهم أبو عكرمة ومحمد بن خنيس ونجا عمر

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠.

العبادي، وقد كان جزاء هؤلاء القتل والصلب، وقد أخبر عمر كثيرَ بما وقع فكتب به إلى الإمام، فكان جوابه: أحمد لله الذي صدَّق مقالتكم ودعوتكم وقد بقيت منكم قتلى ستقتل.

وفي تسجيل هذا المؤرخ لأحداث السنة التاسعة بعد المائة[1] ذكر أن الإمام بعث زياداً أبا محمد إلى خراسان وأوصاه أن ينزل في اليمن ويلطف بمضر، وحذره رجلاً من أبرشهر اسمه غالب، لأنه مفرط في حب بني فاطمة، وامتثل زياد أمر الإمام وراح يطعم الطعام، ويدعو إلى بني العباس وجاءه غالب فاحتدم بينهما الجدل، زياد يدعو إلى بني العباس، وغالب يدعو إلى بني فاطمة، ولأن زياداً قد كان أقوى مراساً وأوضح منطقاً، فإن غالباً قد غادره ومضى إلى سبيله، ولم يخف[2] أمر زياد على أسد بن عبدالله فقد وشى الوشاة بينه وبينهم فقبض عليهم، واستطاع أن يُلبس الأمر عليه حتى أفرج عنه، غير أن الوشاة ما زالوا بأسد حتى قبض على زياد مرة أخرى ومعه تسعة من رجاله، وبعد حوار ساخن بين زياد وبين أسد أمر بهم جميعاً فقتلوا ولم يستثن سوى غلامين اثنين لصغر سنهما. وفي رواية أخرى أن أسداً قد خير هؤلاء العشرة بين ما هم عليه وبين الطاعة لبني أمية، فآثر منهم ثمانية البقاء على ما هم عليه فقتلوا وجاء الآخران في اليوم الثاني وطلبا من أسد أن يلحقهما بإخوانهما ففعل. وجاء في هذه الرواية أن زياداً في لقائه الأول بأسد قد أخبره أنه رجل من التجار، وأنه وزع أمواله على الناس وسوف لا يبقى في خراسان إلا ريثما تعود إليه أمواله، ومضى

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٧ - ١٠٨.

صاحب الأمم والملوك[1] فذكر أن كثيِّراً قد ورث زياداً في الدعوة وأنه ظلَّ كذلك عاماً أو عامين حتى جاء خداش فغلبه وأخذ بأزمة الدعوة بدلاً منه، وصمت صاحب الأمم والملوك فلم يتحدث حول الدعوة والدعاة حتى العام السابع عشر بعد المائة، ثم ذكر كما هي العادة في هذه الفترة من غير إسناد إلى أحد أن أسد بن عبدالله[2] أخذ جماعة من دعاة بني العباس بخراسان فقتل بعضهم، ومثل ببعضهم، وحبس بعضهم، وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير، ومالك بن الهيثم، وموسى بن كعب، ولاهز بن قريظ، وخالد بن إبراهيم، وطلحة بن زريق، فأتى بهم فقال: لهم يافسقة ألم يقل الله تعالى﴿ **عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ** ﴾ فذكر أن سليمان بن كثير قال: أتكلم أم أسكت؟ قال: بل تكلم، قال: نحن والله كما قال الشاعر:

لو بغـــير الماء حلقي شـــرق كنت كالغصان، بالماء اعتصاري

أتدري ما قصتنا؟ صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير، إنا أناس من قومك، وأن هذه المضرية إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على قتيبة ابن مسلم، وإنما طلبوا بثأرهم.

فتكلم شريك بن الصامت الباهلي وقال: إن هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة، فقال مالك بن الهيثم: أصلح الله الأمير أينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره، فقال: كأنك يا أخا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة نحن والله كنا أشد الناس عليه، فبعث بهم أسد إلى الحبس، ثم دعا عبدالرحمن بن نعيم فقال

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق: جـ٧، ص ١٠٧ - ١٠٨.

له: ما ترى؟ فقال: أرى أن تمنَّ بهم على عشائرهم، فقال: فالتميميان اللذان معهم، قال تخلي سبيلهما، قال: إنا إذاً من عبد الله بن يزيد نفي، قال: كيف تصنع بالربيعي؟ قال: أخلي والله سبيله. ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم بلجام حمار وأمر باللجام أن يجذب فجذب حتى تحطمت أسنانه، ثم قال: اكسروا وجهه، فدق أنفه ووجأت لحيته فندر ضرس له. ثم دعا بلاهز بن قريظ، فقال: لاهز والله ما في هذا الحق أن يصنع بنا هذا، وتترك اليمانيين والربيعيين فضربه ثلاثمائة سوط ثم قال: اصلبوه، فقال الحسن بن زيد الأزدي: هو جار لي وهو بريء مما قذف به، فقال: فالآخرون قال: أعرضهم بالبراءة فخلي سبيله.

وتبقى رواية أوردها صاحب هذا الكتاب نفسه في العام الثامن عشر بعد المائة وخلاصتها أن بكير بن ماهان[1] بعث عمار بن يزيد داعية إلى خراسان فنزل في مرو وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن علي، ثم ما لبث أن تكذب وغيَّر ما دعا إليه وأظهر الخرمية ورخص للناس بعضهم في نساء بعض، وقد انكشف أمره لأسد فوضع عليه العيون حتى أخذه وأمر بقطع يديه ورجليه ثم قتله وصلبه.

وواضح من هذه الروايات التي عرضها صاحب تاريخ الأمم والملوك أن أئمة الدعوة ورؤساءها في خراسان قد كانوا يسيرون إليها بتوجيه مباشر من الإمام مرة ومن نائبه على العراق مرة أخرى، ولا تناقض في ذلك فقد أوضحنا في (الفصل السابق) أن الذي كان يرسل الدعاة إلى خراسان هو

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٠٩.

النائب في العراق، ولأن هذا المرسال قد كان لا يتم إلا بناء على رأي الإمام وموافقته فإن المؤرخين كانوا ينسبون الإرسال إلى الإمام مرة وإلى نائبه في العراق مرة.

وواضح من هذه الروايات أيضاً أن الداعية قد كان يأمر بالدعوة إلى الرضا من آل البيت حيناً وبالدعوة إلى محمد بن علي بن عباس حيناً آخر، وقد أمطنا النقاب فيما سبق عن الأسباب التي بررت هذا التغيير، ويبقى في هذه الروايات أن الدعاة قد كانوا يظهرون في أزياء التجار أو أصحاب الحرف، وأنهم على الرغم من تكتمهم الشديد فقد كانوا موضع المراقبة الدقيقة من العمال الأمويين، وأنهم كانوا إذا انكشف أمرهم وانكشف سرهم لا تقتصر عقوبتهم على اللوم والحبس وحسب، وإنما كانت تصل إلى القتل والصلب أيضاً. وأخيراً ما كان من أمر خداش. وما أصاب الدعوة العباسية على يديه من التحريف والتبديل. فقد دعا كما عرفنا إلى الخرمية ورخص للبعض في نساء البعض، ورغم أن هذا كله إنما يحدث بناء على أوامر الإمام وتوجيهاته وقد أمطنا الستار عن حقيقة هذا الأمر وبراءة الإمام والعباسيين منه.

وبعد هذه الروايات عن الدعوة والدعاة في العشرين سنة الأولى من مجدهم راح صاحب الرسل والملوك يحدثنا حول نقطتين:

إحداهما: العلاقة بين الإمام وبين الدعاة في خراسان.

والثانية: اكتشاف أبي مسلم وإسناد مقاليد الدعوة إليه.

فبالنسبة للنقطة الأولى ذكر الطبري[1] أن العلاقة قد ساءت بين الإمام وبين الدعاة في خراسان، وأن ذلك قد كان منذ أذاع خداش ما أذاع، وقد التزم الإمام الصمت تجاه هؤلاء الدعاة فلم يكتب إليهم كتاباً ولم يرسل إليهم رسولاً، ولما طال الوقت تبين للقوم أن الإمام لا يمكن أن يغير سلوكه معهم إلا وهو واجد عليهم، ولكي يعرفوا الحقيقة فإنهم قد أوفدوا إليه سليمان بن كثيِّر الذي التقى به وعرف منه أن الشيعة في خراسان قد أخطؤوا عندما استمعوا إلى خداش وانقادوا له، ولعنه ولعن من هم على دينه، ودفع إليه كتاباً مختوماً ولما عاد الرجل إلى خراسان وفتح الكتاب لم يجدوا فيه شيئاً غير البسملة وحدها فتأكدوا من أن الإمام غاضب عليهم وأنه لم يصفح بعد عنهم، ولم يكتف الإمام بذلك وإنما أرسل إليهم نائبه في العراق بكير ابن ماهان ومعه كتاب يقول فيه: إن خداشاً قد حمل شيعته على غير مناهجه. ولأن هؤلاء الدعاة لم يكونوا يعرفون هذا النائب فإنهم قد استهزؤوا ولم يستمعوا إلى كلامه، ومعنى هذا أنه لم يكن يعرف نائب الإمام في العراق من الدعاة في خراسان سوى واليهم وحسب، وذلك إمعاناً في الكتمان ومحافظةً على السرية. ومن أجل ذلك فإن الإمام لم يغضب لما كان من الدعاة وإنما أعاده إليهم مرة أخرى ومعه من العلامات ما من شأنه أن يهديهم إليهم، فقد أرسل لكل واحد منهم عصا مضببة بالحديد أو الشبه، ولم يبعث معه شيئاً آخر، وفهم الدعاة ما يرمز إليه الإمام وهو أنه غاضب عليهم، وأن الموعظة وحدها لا تكفيهم وإنما هم في حاجة إلى تأديب يدوي. وهكذا لفت الإمام نظر الشيعة إلى الحذر والتروي في قبول

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ١٤١ - ١٤٢ع.

من يأتي إليهم باسم الإمام من جهة وفي الرضوخ لما يدعوهم إليه من جهة ثانية، ولا مراء في أن غضب الإمام على شيعته وحجب رسائله عنهم دليل ظاهر وحجة قاطعة على براءة الإمام مما أدخله خداش على دعوة بني العباس، وأنهم لم يكونوا كما يدعي صاحب تاريخ الدولة العربية لا يبالون بالوسيلة في سبيل إدراك الغاية حتى ولو كانت هي الدين نفسه. وبالنسبة للنقطة الثانية[1] وهي:

(د) اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه:

اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه يحدثنا صاحب الأمم والملوك أن الإمام محمد بن علي قد عرض على سليمان بن كثير أن يتولى مقاليد الدعوة في خراسان، وأنه قد اعتذر عن تقليد هذه المهمة، واقترح عليه أن يختار في الوظيفة الخطيرة رجلاً من أهل بيته، وجاء في رواية أخرى[2] إنه أي الإمام قد عرض هذه الوظيفة على رجل آخر، وأن جوابه كان شبيهاً بجواب سابقه، وهذا أمر طبيعي فإن خداشاً كما أسلفنا قد خان الدعوة وانحرف عن منهجها، وأساء إلى الإمام نفسه وذلك بما كان يعلنه من أن ما ينادي به إنما هو أمر الإمام وبتفويض منه، وقد أثبتنا فيما مضى براءة محمد بن علي مما ادعاه خداش، وغضبه على الدعاة في خراسان من أجله وإرساله نائبه في العراق إليهم بما يؤكد لهم هذا الغضب، وأنهم ليسوا في حاجة إلى العتاب الكلامي وحسب، وإنما هم في حاجة إلى التأديب باليد، وإذاً فإن الحاجة ماسة، والضرورة مقتضية لتلافي ما وقع وإسناد مقاليد

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٤٤.

(٢) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٣، ص ٢٢٠.

الدعوة في خراسان إلى رجل يطمئن إليه الإمام، ويثق في كفاءته وحسن قيادته، وهذا هو السر في عرضه هذا الأمر على سليمان بن كثير وغيره ممن يطمئن إليهم، ولا يشك في كفاءتهم وإخلاصهم، ولأن قيادة الدعوة بعد خداش قد كانت من الصعوبة والخطورة بمكان، فقد اعتذر عنها هذان الداعيان ونصحا الإمام بإسنادها إلى رجل من أهل بيته لتكون الثقة فيه أكمل ويكون الانقياد إليه أكثر وأسرع، ومن أجل هذا اختار الإمام أبا مسلم الخراساني لهذه المهمة الصعبة، وأحاطه بما يضمن له بلوغ الهدف، وتحقيق الغاية، والوصول بالدعوة إلى المرفأ المنشود، وينبغي أن يكون مفهوماً أن لفظ أبي مسلم ليس هو الاسم الحقيقي لهذا الرجل وإنما هو اسمه الحركي، وأما اسمه الحقيقي فإن الروايات فيه مختلفة فهو عبدالرحمن[1] بن مسلم عند فريق، وهو إبراهيم بن يسار[2] عند فريق آخر، وكما اختلفت الروايات في اسمه فإنها قد اختلفت كذلك في نسبه، وفي المكان الذي ولد فيه، وفي ما إذا كان من الأحرار أو العبيد، وليس يعنينا من هذه الاختلافات سوى الاختلاف في نسبه، وفيما إذا كان من الرقيق أو الأحرار. فبالنسبة للنقطة الأولى: اختلفت الروايات فذهب بعضها إلى أنه من أصل فارسي أو كردي، وذهب بعضها إلى أنه عربي هاشمي وعلى سبيل التحديد هو ابن سليط بن عبدالله بن عباس - رضي الله عنه - والذي يقارن بين هذه الروايات التي تناولت نسب الرجل يجد

---

(١) البغدادي: تاريخ بغداد جـ ١، ص ٢٠٧.
ابن قتيبة: المعارف ص ٤٢٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١، ص ٦٧.
الإسفراييني: الفرق بين الفرق ص ٢٥٦.

نفسه مدفوعاً إلى ترجيح أنه عربي عباسي وذلك لوجوه.

أحدها[1]: ماسبق وذكرنا من أن سليمان بن كثير لما عرضت عليه قيادة الدعوة في خراسان اعتذر عنها، ونصح الإمام محمداً أن يوليها رجلاً من أهل بيته.

والثاني[2]: أنه لما ظهر أبو مسلم في خراسان كان الناس يبايعونه على اعتبار أنه رجلٌ من أهل البيت.

والثالث[3]: أن أبا مسلم نفسه كان يعلن أنه ولد سليط بن عباس، ولم يرو أحدٌ من المؤرخين أن الإمام أو غيره من العباسيين قد أنكر عليه ذلك أو نهاه عنه اللهم إلا ما جاء في الحوار الذي كان بينه وبين الخليفة المنصور[4]، فقد أنكر عليه هذا الادعاء واعتبره أحد الأسباب المبررة لقتله، غير أن هذا الإنكار لا ينهض دليلاً على أن الرجل قد كان كاذباً في هذا الادعاء؛ لأنه قد كان في اللحظات السابقة على قتله والتي لم تكن تمكنه من الدفاع عن نسبه وإثبات صدق ادعائه. وثم وجهان آخران.

أحدهما: أن الإمام محمداً ما كان ليدع الأحرار المخلصين من رجاله من أمثال سليمان بن كثير وغيره، ويعهد بقيادة الدعوة في هذا الوقت العصيب إلى رجل مغمور لا يعرف له نسب ولا يدري أهو من الأحرار أو

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ٣٤٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٥٥.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص ٤٢٠.
ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٩١.

العبيد، بل إن المنطق يحتم ألا يختار الإمام محمد وهو من هو في سياسته وكياسته لهذه المهمة الخطيرة إلا رجلاً من أهل بيته حتى تكون الثقة به أعظم والاطمئنان إلى إخلاصه وعدم خيانته أشد وأوثق، ويبقى الوجه الأخير: وهو ما رواه الطبري وغيره[1]. من أن أبا مسلم عرض على الإمام محمد أنه رأى أوصافه مطابقة لما عنده في الكتاب الذي كان يحتفظ به والذي كان يحتوي على أسرار الدعوة في حاضرها ومستقبلها، ولا جدال في أن هذا الكتاب لا وجود له، وأنها فرية ليس إلى تصديقها من سبيل، وقد مر بنا مناقشة[2] هذا الادعاء وغيره، وكيف أنه يتنافى وما جاء في القرآن والسنة من أن الله تعالى قد احتفظ لنفسه بعلم الغيب وأنه لم يطلع عليه أحد من خلقه، وإذن فادعاء أن الإمام محمداً اختار أبا مسلم بناء على هذا الكتاب لا أساس له من الصحة، وإذا انتفى هذا ثبت أن اختياره له لتولي أمر الدعوة في خراسان إنما هو لأنه رجل من أهل البيت العباسي الذي لا يهمه شيء بقدر ما يهمه أن تبلغ الدعوة هدفها وتحقق مقصدها وغايتها. والذي يراجع ما جاء في الطبري[3] وغيره من أخبار أبي مسلم يلاحظ أن الإمام قد اختاره وهو غلام حدث لم يبلغ العشرين من عمره، غير أنه لم يبعثه لقيادة الدعاة وهو في هذا السن، وإنما كان يبعثه إلى خراسان في حوائجه حتى إذا اشتد

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٣٢.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٣٨.
البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١٠، ص ٢٠٧.
الدينوري: الأخبار الطوال ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٢) راجع الفصل الثاني.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٠.

عوده، واكتملت تجربته قلده هذه الوظيفة، وقد جاء في الطبري[1] وغيره أن بعض الدعاة قد اعترضوا عليه لحداثة سنه وقلة خبرته وخوفهم من أن تصاب الدعوة والدعاة إذا هو تولى القيادة وأخذ بالزمام وأعادوه أدراجه، غير أن خالد بن إبراهيم لما حضر لم يعجبه ما كان من هؤلاء، وحاور القوم حتى أقنعهم بخطئهم. وهكذا أعاد الرجل وتولى أزمة الدعوة والدعاة. وكان ذلك في العام السابع والعشرين بعد المائة. ولأن الإمام[2] قد كان يدرك أن إقامة أبي مسلم في خراسان سوف تطول، وأنه في حاجة إلى من يظاهره ويقف إلى جانبه ولا سيما في الفترة الأولى من إرساله إلى خراسان، فإنه قد زوجه من ابنة أحد البارزين من الدعاة وهو أبو النجم وساق إليه مهرها من ماله، وكتب إلى النقباء بالسمع والطاعة له، ولا شك في أن هذا العمل من الإمام قد ضمن الاستقرار والعون لأبي مسلم معاً. وأيًا ما كان فإن الرجل[3] لم يستقبل من النقباء في هذا الإقليم استقبالاً حسناً، فقد استصغروا سنه واستضألوا تجربته ولم يذعنوا بالسمع والطاعة له، وكان سليمان بن كثير كما أسلفت هو الذي نصح زملاءه بذلك، ويختلف المؤرخون فيما كان بعد رد أبي مسلم، فيروي الطبري: أن القوم قد بعثوا إليه وأعادوه بعدما أنبهم داود بن إبراهيم. ويذهب صاحب

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٣٤.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩٥.
(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٦٠ - ٣٦٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

الإمامة والسياسة[1] إلى أن أبا مسلم قد عاد أدراجه وأنه قد أخبر الإمام إبراهيم بما كان من النقباء بالنسبة له، وقد كان إبراهيم قد خلف أباه محمداً في الإمامة بعد وفاته. وسواءٌ أصح ما رواه الطبري، أم أن ما رواه صاحب الإمامة والسياسة قد كان هو الصحيح، فإن إبراهيم الإمام قال لأبي مسلم أمام ابن كثير ومن حضر من كبار الدعاة « إنك[2] يا أبا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي، انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم، وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم معهم، وانظر هذا الحي من مضر، فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره، ومن وقع في نفسك منه تهمة، فقال: أيها الإمام فإن وقع في أنفسنا من رجل هو على غير ذلك؟ فقال: أحبسه حتى أستبرئه؟ قال: لا السيف السيف، لا تتق العدو بطرف. ثم قال للشيعة: من أطاعني فليطع هذا، يعني أبا مسلم، ومن عصاه فقد عصاني، ثم قال: إن استطعت أن لا تدع بخراسان أرضاً فيها عربي فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ، يعني سليمان بن كثير ».

وواضح من هذا النص أن الإمام قد أعلن أمام من حضر من الدعاة أن أبا مسلم رجل من أهل بيته، وأن أزمة الشيعة في خراسان قد أصبحت بين يديه، فطاعته طاعته، ومعصيته معصيته، وأن سليمان بن كثيِّر هو رأس

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٣٤.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٢٩٥.

الدعاة وأشدهم إخلاصاً بعده، لهذا فإنه قد نصحه بعدم مخالفته. أما ما بقي من وصية الإمام لأبي مسلم فقد سبق وأشرت إليها فيما مضى، وبينّا أن الإمام قد كان يعتبر المضريين هم أعداؤه التقليديون وهم الذين لا ينبغي التسامح معهم إذا حدثت من أحدهم مخالفة، وهذا أمر طبيعي فإن المضريين يستشرفون للخلافة؛ لأنها في قريش، ويجنحون إلى بني أمية.

ويبقى قول الإمام إذا استطعت ألا تدع في خراسان أرضاً فيها عربي فافعل، وأيما غلام عربي بلغ خمسة أشبار فاتهمته فاقتله. فإن هذا الكلام قد كان من الإمام على سبيل المبالغة والإمعان في الحذر والاحتياط والدليل على هذا: أن الإمام محمداً، وإبراهيم من بعده قد استعانوا بالعرب وعهدوا إليهم بالمراكز الرفيعة في إدارة شؤون الدعوة.

وقد مر بنا أن ثمانية من النقباء الاثني عشر قد كانوا من العرب، وأن أبا مسلم نفسه قد كان من العرب، وحتى القائد العام الذي فتح البلاد أمام الدعوة العباسية من خراسان حتى العراق، قد كان من العرب أيضاً وهو قحطبة بن شبيب، وولداه الحسن وحميد من بعده، ثم إن الدعوة العباسية قد نمت وترعرعت في قرى خزاعة في خراسان وهي قبيلة عربية، والسر في ذلك هو هذه العلاقة الوثيقة التي تربط خزاعة بالبيت الهاشمي، فقد وقفت هذه القبلية إلى جوار عبدالمطلب وهو يطلب حقه من نوفل وعبدشمس، وانعقد بينهما الحلف الذي نوَّه عنه زعيمه الذي أقبل إلى رسول الله- ﷺ -، قبيل فتح مكة، وقد ظلت خزاعة ترعى هذا الحلف مع أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ومع العباسيين في خراسان، وصفوة القول أن الإمام لم يكن يقصد من مقالته هذه كراهية العرب عامة، ولكنه

كان يعني بني أمية ومن والاهم من مضر .

وعلى كل حال فإن أبا مسلم قد امتثل لأمر الإمام إبراهيم ، وتوجه إلى خراسان وراح يدعو في سرية تامة إلى الرضا من أهل البيت ، وقد كان الجو مهيئاً له ، فقد كان الموالي يكرهون الحكم الأموي ويتطلعون إلى اليوم الذي يتخلصون فيه منه ، وكان الصراع على أشده بين العرب المضرية منهم واليمانية ، وكان ما أصاب زيد بن علي بن الحسين وابنه يحيى[1] في عهد هشام بن عبدالملك قد أثار النفوس وهيَّج المشاعر والعواطف وزاد الناس للأمويين كرهاً إلى كره ، وقد استغل أبو مسلم هذا كله فأثار أحقاد الموالي ، وهيَّج حفائظهم ، وادعى أنه واحد منهم يسره ما يسرهم ، ويؤلمه ما يؤلمهم ، وراح يصور مدى الخسف الذي نزل بساحتهم ، والظلم الذي أناخ عليهم ، فذهب بمنزلتهم وهم أرفع الأمم وألبسهم ثياب الخسف وهم أعز الشعوب ، وعلى مثل هذا المنوال نسج بالنسبة لأهل بيت النبي - عليه الصلاة والسلام - فراح يبين كيف اغتصبت حقوقهم ، وكيف انتهبت أموالهم وأريقت دماؤهم ، وأزهقت أرواحهم على يدى عبيدالله بن زياد في كربلاء ، وعلى يدي يوسف بن عمر بالنسبة لزيد بن علي وابنه يحيى ، وكان يتعقب كل من شارك في دم هذا الأخير فيسكنه السجن أو يسكنه القبر .

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص ١٨٠ - ١٩١ .
ابن الأثير : الكامل في التايخ ، جـ ٤ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

٢ - المرحلة الجهرية للدعوة :

أما ما كان منه بالنسبة للصراع الذي كان بين اليمن ومضر، فسوف أرجيء الحديث عنه إلى حينه. بهذه الآثار وهذا التحريض وهذا العزف على أوتار الأسى والحزن على ما أصاب آل بيت النبي - ﷺ - على أيدي الأمويين، واستطاع أبو مسلم أن يستقطب الخراسانيين وأن يجمع قلوبهم من حوله، وأن يجعلهم رهن إشارته وطوع يمينه، وقد كان الرجل ذا لسان، وذا ذكاء متوقد، وكان على حداثة سنه آنذاك من بعد النظر والدهاء السياسي ما يرتفع به إلى أوج العباقرة.

وهذا ما يفسر لنا كيف أنه لم يكد يقضي في خراسان عاماً أو عامين حتى صدر إليه الأمر من الإمام بالخروج من السر إلى العلن في الدعوة، وليس هذا وحسب بل والتصريح بأنها لبني العباس، وقد روى صاحب الأمم والملوك: ما كان من ذلك من طرق كثيرة، وهذا هو ما رواه لنا من طريق المدائني علي بن محمد قال:[1] لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان حتى وقعت العصبية بها، فلما اضطرب الحبل كتب سليمان بن كثيِّر إلى أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم الإمام يسأله أن يوجه إلى خراسان رجلاً من أهل بيته، فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم، فبعث أبا مسلم فلما كان في سنة تسع وعشرين ومائة، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله عن أخبار الناس، فخرج في النصف من جمادى

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٣ - ٣٣٥.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

الآخرة في سبعين نفساً[1] من النقباء والدعاة، فلما صار بالدانقان من أرض خراسان عرض له كامل - أو أبو كامل - قال أين تريدون قالوا: الحج غير أن أبا مسلم قد خلا به فدعاه فأجابهم، وكف عنهم، ومضى أبو مسلم إلى أبيورد[2] فأقام بها أياماً ثم سار إلى نسا[3] وكان بها عاصم بن قيس السلمي عاملاً لنصر بني سيار، إلى بني أمية على خراسان، فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي إلى أسيد بن عبدالله الخزاعي ليعلمه قدومه، فمضى (الفضل) فدخل قرية من قرى نسا، فلقي رجلاً من الشيعة يعرفه، فسأله عن أسيد، فانتهره فقال: يا عبدالله ما أنكرت من مسألتي عن منزل رجل؟ قال: إنه كان في هذه القرية شر، سعى برجلين قدما إلى العامل، وقيل: إنهما داعيان وأخذهما وأخذ الأحجم بن عبدالله، وغيلان ابن فضاله، وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان، فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره فتنكب الطريق وأخذ في أسفل القرى، وأرسل طرخان الجمال إلى أسيد وقال: ادعه لي ومن قدرت عليه من الشيعة، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه. ومضى طرخان إلى أسيد فأخبره بما وقع له، وأنبأه بأن لديه كتباً من الإمام إلى أبي مسلم الذي انتظر حتى أتاه أسيد ورفعها إليه،

---

(١) عله يعني بهم الدعاة.

(٢) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس وفسا، يكثر فيها خروج العرق، فتحت أبيورد على يد عبدالله بن عامر بن كريز سنة ٣١هـ، وقيل: فتحت قبل ذلك على يد الأحنف بن قيس.
ياقوت: معجم البلدان، جـ ١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) نسا: مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين أبيورد وبين سابور ستة أو سبعة، وهي مدينة وَبَئَةٌ جداً.
ياقوت: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

ولما قرأها أخذ طريقه إلى قومس[1] وهناك جاءه كتابان من الإمام أحدهما له والآخر إلى سليمان بن كثيِّر، وقد جاء في كتاب أبي مسلم « إني قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث لقيك الكتاب، وابعث إليَّ بما معك قحطبة بن شبيب »، وامتثل أبو مسلم للأمر وبعث قحطبة إلى الإمام، وعاد هو أدراجه إلى خراسان، وفي الطريق مروا بنسا حيث استقبلهم صاحب مسلمة هناك وأرسلهم بدوره إلى عاصم بن قيس السلمي الذي أمرهم بالارتحال، وأغرى بهم صاحب شرطته لإزعاجهم، غير أن أبا مسلم استطاع أن ينصحه إلى دعوته. ومضى الرجل حتى نزل مرو وهناك دفع كتاب ابن كثير إليه، وفيه يأمره الإمام أن يجهر بدعوته ولا يتريث. واجتمع القوم وولوا عليهم أبا مسلم، وقالوا: رجلاً من أهل البيت، وبايعوه على السمع والطاعة، وقد يتساءل الباحث كيف ولى الشيعة أبا مسلم عليهم وبايعوه، وقد ولاه الإمام من قبل، وأخذ من ابن كثير ومن كان معهم العهد بالطاعة والانقياد له؟ والجواب: أن هذا قد كان منهم على سبيل التأكيد والتوثيق، وإظهار ما في أنفسهم من الإخلاص للرجل حتى يزداد عزماً إلى عزم وقوة إلى قوة.

وواضح من رواية المدائني هذه أن إبراهيم الإمام قد عزم على إخراج دعوته من السرية والكتمان إلى الجهر والإعلان، وأنه قد عهد بهذه المهمة الخطيرة إلى أبي مسلم وإلى سليمان بن كثير معاً، وأن الأول قد كان هو النائب والمسؤول الذي وضعت أعباء هذه الدعوة على عاتقه، والدليل على

---

(١) قومس: بالضم ثم السكون، وكسر الميم، والسين مهملة، وهي تقع في الإقليم الرابع، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبل طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الري، نيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام وبيارده.

هذا أن إبراهيم الإمام قد بعث كتابين لم تختلف عبارة أحدهما عن الآخر، ووجه أحدهما إلى أبي مسلم ووجه الآخر إلى ابن كثير، ولو أنه لم يكن يريد المشاركة، وتَعَاون الرجلَيْن كلَيْهِما على الجهر بالدعوة لما أرسل إلا إلى أبي مسلم.

وواضح من هذه الرواية أن إبراهيم الإمام قد أرسل إلى أبي مسلم يطلب منه أن يسير إليه قحطبة بن شبيب بعد أن كان قد أمره هو بالمسير إليه. والسبب في هذا هو : أن الرجل قد أدرك أن الجهر بالدعوة سوف يفتح الباب على مصراعيه للحرب بين الدعاة في خراسان، وبين العمال عليها من قبل الأمويين، وأنه ينبغي أن يكون الذي يتولى أزمة الحرب شخص، وأن الذي ينبغي أن يتولى أزمة الدعوة شخص آخر، ولهذا أرسل في طلب قحطبة ليتولى أزمة القتال، وأبقى أبا مسلم ليتولى أزمة الدعوة والدعاة.

وقد يتساءل الباحث ولماذا لم ينط هاتين المهمتين بأبي مسلم؟ والجواب: أنهما كانتا من الصعوبة وبالثقل بحيث لا يستقل بهما رجل. وسبب ثان: وهو أن أبا مسلم قد تظاهر بأنه رجل من الموالي حتى يستطيع استقطابهم إليه. واستخلاصهم له. وقد شاع ذلك، وانتشر فأراد إبراهيم الإمام أن يَكِلَ مهمة القتال إلى رجل لا يختلف أحد في أنه من العرب لأنه يكون بهم أخبر، وعلى قتالهم أقوى وأقدر. ولهذا وقع اختياره على قحطبة بن شبيب الطائي اليمني ونحن على علم بأن اليمن كانوا أقرب إلى إبراهيم وأهل بيته من المضريين الذين كانوا يعتبرون أعداءه التقليدين.

سير الدعوة ومناقشة الروايات التي رويت بذلك :

ومهما يكن من شيء فإن أبا مسلم[1] وابن كثيِّر كليهما قد صدعا بالدعوة، ورفعا الظل والسحاب وهما لواءان بعث الإمام بهما إلى نائبه على هذا الإقليم - وقد فسر الظل بالدوام والاتساع، وفسر السحاب بالبقاء والاستمرار، ومعنى هذا أن خلافة ابن العباس سوف تتسع وتدوم، وأنها سوف تبقى فيهم إلى آخر الدهر. وتختلف روايات الطبري في الأمكنة والأزمنة التي واكبت إعلان الدعوة، وتتناقض تناقضاً لا سبيل إلى تلافيه، فبينما تذكر رواية أبي الخطاب أن[2] وصول أبي مسلم إلى مرو قد كان في يوم الثلاثاء التاسع من شعبان وأنه قد تحول منها إلى فنين[3] وأن إرساله الدعاة للجهر بالدعوة قد كان لخمس بقين من شهر رمضان. تذكر رواية المدائني[4] أن تحول الرجل من فنين إلى سفيذنج[5] قد كان في الأول من رمضان، وأنه جهر فيها بالدعوة، وصلى فيها العيد، وأن الذي أم الشيعة هو سليمان بن كثيِّر.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢، ص ٤٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٣، ص ٣٥٥.

(٣) فنين: بالفتح ثم بالكسر، وياء مثناه من تحت ساكنة ونون، وأهلها يقولون فني، بغير نون وهي قريه عامرة وأحسن من مدينة مرو.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٢٧٨.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٥.

(٥) سفيذنج: بالفتح ثم الكسر من قرى مرو، ينسب إليها أبو أحمد عبد الرحمن بن أحمد السفيذنجي.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ٢٢٨.

أما الرواية الثالثة[1] هي لأناس لم يصرح الطبري بأسمائهم قد حددت تحول أبي مسلم إلى فنين باليوم السابع من رمضان، وأنه قد صلى العيد في هذه القرية ذاتها، وأن الذي أم الناس هو القاسم بن مجاشع.

وواضح من هذه الروايات الثلاث أنها متناقضة كما أسلفت، وأن التناقض فيها قد وصل إلى الحد الذي يتعذر معه الجمع والتوفيق. وإذا كان لي أن أرجح إحدى هذه الروايات على الأخريين فإني أرجح رواية المدائني، وحجتي في هذا أن هذه الرواية هي التي تصرح بأن الجهر بالدعوة قد كان في قرية سفيذنج، وأن الذي أم الناس في صلاة العيد هو ابن كثيِّر. وقد مر بنا أن إبراهيم الإمام قد أشرك ابن كثير مع أبي مسلم في الجهر بالدعوة، وأنه قد أرسل إليه كتاباً كما أرسل إلى أبي مسلم كتاباً، ومر بنا كذلك أن أبا مسلم لما نزل مرو التقى بابن كثير ودفع إليه بالكتاب الذي أرسله الإمام إليه.

أما الروايتان الأخريان فيمكن قبولهما على اعتبار أن القاسم بن مجاشع قد صلى العيد هو ومن كان معه في قرية فنين، ثم أقبل وإياهم إلى أبي مسلم بعد ذلك، أو أن المراد بالعيد هنا ليس هو عيد الفطر، وإنما هو عيد النحر وهذا هو ما صرحت به رواية أبي الخطاب. وسواء أصح هذا الذي ذهبت إليه أو لم يصح، فإن الدعوة قد خرجت من مرحلة السر والكتمان إلى مرحلة الجهر والإعلان، وأن الذي تولى ذلك نيابة عن الإمام هو أبو مسلم، وابن كثيِّر كلاهما.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٣.

الفصل الرابع

مرحلة الفتح وقيام الدولة العباسية

(أ) مرحلة الفتح.

(ب) المعركة الأولى بين الفريقين.

(ج) الصراع بين المضريين واليمانيين وسياسة أبي مسلم تجاههما.

(د) نحو مرو عاصمة إقليم خراسان.

(هـ) مصير ابني الكرماني وشيبان الحروري.

(و) نهاية نصر ومتابعة الفتح.

(ز) نحو الكوفة.

(ح) تحقيق مقتل قحطبة.

(أ) مرحلة الفتح :

وقد كان أبو مسلم على يقين من أن إعلان الدعوة هكذا في خراسان سوف يحمل عاملها من قبل الدولة الأموية على مكاشفته العداء، بل وعلى حربه وقتاله إذا لزم الأمر.

ومن أجل هذا رأينا أبا مسلم يأخذ للأمر أهبته ويعد له عدته، ويتخذ من الإجراءات ما يراه كافياً لحماية الدعوة والدعاة من خطر ابن سيار وغيره من القبائل العربية التي لم تقبل الانضمام إلى صفوف الشيعة.

فأقام معسكراً له في سفيذنج[1] وخندق عليه ورتب القادة والأعوان وأمر محرز بن إبراهيم أن يخندق خندقاً بجيرنج[2]، ويجمع إليه أصحابه ومن نزع إليه من الشيعة، ويقطع مادة نصر بن سيار وأرسل له كتاباً يقول فيه[3] « أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه وتعالى ذكره عير أقواماً في القرآن فقال: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ** ﴾(فاطر ٤٣). وقد أثار كتاب أبي مسلم هذا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠٠.
جيرنج: بالكسر وبعد الراء المفتوحة نون ساكنة وجيم: وهي بلدة من نواحي مرو على نهرها قنطرة عظيمة عليها بعض أسواقها.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص ١٩٩.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٧ - ٣٥٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

انتباه نصر، وكسر له إحدى عينيه وقال: هذا كتاب له جواب. والسبب في هذا ليس هو الصيغة التي كتب بها وحسب، ولكنَّ أبا مسلم منذ أن دخل خراسان كان إذا كتب إلى نصر قدم اسمه على اسمه، وفي هذا الكتاب عدل عن هذا النهج وبدأ بنفسه أولاً.

ومعنى هذا أن أمره قد استغلظ، وأن رجاله وأعوانه قد أصبحوا من الكثرة بحيث يمكنه مواجهة الرجل ومكاثرته على عمله، ولست أدري لماذا لم يحدد لنا على وجه اليقين متى كتب أبو مسلم هذا الكتاب إلى نصر. ويقول أبو الخطاب[1]: إن دخول الرجلين قد كان بعد ثمانية عشر شهراً من ظهور أبي مسلم.

والظاهر أنه لم يعن بظهوره هنا الوقت الذي جهر فيه بالدعوة، وإنما قصد به دخوله إلى خراسان لأن الطبري قد ذكر هذه الرواية في أحداث السنة التاسعة والعشرين بعد المائة، وهذه السنة نفسها هي التي خرجت فيها الدعوة من السر إلى العلن، وعليه فلا يعقل أن يفسر ظهور أبي مسلم بجهره بدعوته ويكون قد مضى بين هذا الظهور وبين القتال ثمانية عشر شهراً.

أما الوقت الذي كتب فيه الكتاب السابق الذكر، فهو فيما أرى قد كان قريباً من نشوب المعركة.

(ب) المعركة الأولى بين الفريقين:

ومهما يكن من شيء فإن نصراً[2] وجه إلى أبي مسلم مولى له اسمه

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٨.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٥٨ - ٣٥٩. =

يزيد الأسلمي في خيل عظيمة، وإن أبامسلم قد وجه إلى جند ابن سيار مالك بن الهيثم ومعه مصعب بن قيس، والتقى الفريقان في آلين، ولم ينشب القتال حتى دعا مالك يزيد ومن معه إلى الرضا من أهل البيت، ولما أبوا أنشب القتال وكان في مائتين من أصحابه. وعلى الرغم من قلة هذا العدد فإن مالكاً قد استطاع أن يصبر من بداية النهار حتى العصر. وقد أمد أبو مسلم قائد جيشه هذا بثلاثة وهم: صالح بن سليمان، وإبراهيم بن يزيد، وزياد بن عيسى، وحمي وطيس المعركة وكان من نتائجها:

هزيمة جيش نصر وأسر قائده، وقتل أربعة وثلاثين من رجاله وأسر ثمانية، وقد أمر أبو مسلم فنصبت رؤوس القتلى على أبواب المعسكر.

أما القائد المأسور[1] فقد أمر أبو مسلم بعلاجه وأبقاه في عسكره حتى يطلع شيعته من قريب وينقل أخبارهم إلى نصر بعد عودته إليه. والسبب في هذا هو أن الأمويين في خراسان وأنصارهم قد كانوا يشيعون أن أبا مسلم وأصحابه غير متمسكين بمبادئ الإسلام، وأنهم لا يؤدون الصلاة في أوقاتها المحدَّدة لها، فأراد أبو مسلم أن يبطل هذه الشائعات على لسان قائد الجيش نفسه وقد تم له ما أراد.

(جـ) الصراع بين المضريين واليمانيين وسياسة أبي مسلم تجاههما:

وقد فتحت هذه المعركة بين نصر وأبي مسلم أعين الأخير على الخطر

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٥٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠١.

المحـدق به، وراح يفكر في الظروف الدائرة من حـوله وكـيف يسـتطيع تطويعها لصالحه، وكان العرب[1] في خراسان على خلاف شديد، وكانت نار العصبية مشتعلة على أشدها بين اليمنيين الذين كانوا تحت إمرة نصر بن سيار. وثم زعيم ثالث وهو شيبان الحروري الذي كان حليفاً للكرماني على نصر لأنه هو وإياه كانا يكرهان الدولة الأموية ويتمنيان الخلاص منها، ولأن أبا مسلم قد كان يرى رأيهما في هذه القضية فإنهما كانا يميلان إليه، ويعتبرانه عدواً لعدوهما في خراسان وهو نصر بن سيار.

وقد أدرك نصر ما يمكن أن يصنعه هذا الصراع في تحقيق أهداف أبي مسلم ووصوله إلى ما يطمح إليه.

وراح يعمل جاهداً على تفريق هذه القوى، التي أضناها الخلاف، ومزقها الصراع. وقد سجل الطبري ما كان في ذلك من طرق ثلاثة وهي طريق المدائني وطريق أبي الخطاب، وطريق الرواة الذين لم يحـــدد أسماءهم.

وخلاصة ما جاء في هذه الطرق جميعاً[2] أن أبا مسلم راح ينفخ في جمر العصبية الجاهلية، فذكَّرعلي بن جديع الكرماني بثأره عند نصر الذي نصب له الحرب، وساق إليه الجيش بعد الجيش حتى قتل أباه وصلبه. الأمر الذي دفع علياً إلى نقض ما كان قد أبرم بينه وبين نصر، ورجعت

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٤.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٤.

الحرب مستعرة بينهما كما كانت حتى أضعف كل منهما صاحبه، وحتى أصبح أبو علي هو القوة التي يحرص على كسب ودها كلٌ من الفريقين. وبعد هذه الخطوة انتقل أبو مسلم إلى الخطوة الثانية وهي[1]: توسيع الخلاف بين الفريقين المتنازعين، والعمل على كسب محبتهما معاً، فكتب كتاباً إلى المضرية وأمر رسوله أن يسير به إليهم من طريق اليمن، وفعل مثل ذلك بالنسبة لليمانية، ولأن أبا مسلم قد كان يعلم أن كتابه سوف يُعتَرضُ سبيلُه ويؤخذ يُقرأ قبل وصوله إلى الهدف، فإنه أشاد باليمن في كتابه إلى المضرية، وأعلن أنه إلى جانبهم، وأشاد بمضر في كتابه إلى اليمن وأعلن أنه إلى جانبهم كذلك.

وبهذا أشعر كل فريق منهما أنه معهم على غيره فأحبوه وأظهروا له الود والتقدير، وطمع كل منهما في الاستظهار به على صاحبه، ثم كانت الخطوة الثالثة والأخيرة[2]، وهي إيثار أحد الفريقين على الآخر، ولأن أبا مسلم كما نعلم قد كان شديد الكراهية للمضريين لأنهم أنصار الأموالأمويين وشيعتهم فإنه قد قرر الوقوف إلى جانب اليمانية حتى يفرغ من مضر، ويقضي على زعيمها نصر.

وقبل أن يعلن موقفه هذا فإنه طلب من كلٍّ من الفريقين أن يبعث إليه وفداً حتى يناقشه ويرى رأيه فيه، وأوعز إلى ابن كثيِّر في سبعين نفسًا من

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٦٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٣٠٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٧، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٣٠٩.

الشيعة أن يشنعوا على وفد نصر، ويظهروا العداوة والبغضاء لهم. وتم الأمر كما أراد أبو مسلم وجاء الوفدان، وقام خطباء الشيعة فذكروا مساوئ بني أمية، وكيف أنهم قد قتلوا أهل البيت وشردوهم وسلبوهم حقوقهم.

وأنهم من أجل ذلك لا يستحقون صداقتهم، ولا ينبغي أن يكونوا وإياهم في خندق واحد.

وهكذا انضم الرجل صراحة إلى علي بن جديع الكرماني وقومه.

ولم يجد نصر - وقد آلت الأمور إلى ما آلت إليه - إلا أن يكتب إلى الخليفة آنذاك وهو مروان بن محمد، ويطلعه على ما يجري في خراسان ويطلب منه العون، وقد جاء في كتابه إليه هذا الشعر الذي يحض الأمويين على تلافي الخطر قبل وقوعه ويحذرهم إن هم لم يستجيبوا له أن يضيع ملكهم على يدي أبي مسلم وهذا هو بعض ما جاء منه[1]:

أرى خلل الرماد ومَيضَ جمرٍ ... وأحرى بأن يكون له ضرامُ
فإن النارَ بالعودين تُذكَى ... وإن الحرب أولُها كلامُ
فقلتُ من التعجب: ليت شعري ... أأيقاظُ أمية أم نيامُ
فإن كانوا لحينهُم نياماً ... فقُل قوموا فقد حان القيامُ

وقد كان مروان جديراً أن يسعف نصراً، ويبعث إليه من المدد بما يريده، غير أن ظروفه قد كانت أكبرمنه، ولم يستطع إطفاء الفتن المحدقة به،

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٣٤١.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٥٧.
الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٦٩.

فكتب إليه يقول، إن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فاحسم الثؤلول قبَلك.

وأمام هذا الرد الذي لم يكن يتوقعه نصر من الخليفة كتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة عامل الأمويين على العراق بمثل ما كتب به إلى الخلفية وجاء في كتابه إليه[1] هذا الشعر، الذي يصور فيه براعة الأخطار الكامنة في خراسان، وينذر بالويل والثبور إذا لم تجتث شجرتها في عجلة وسرعة.

وقد جاء من هذا الشعر قوله:

أبلغ يزيدَ وخير القول أصدقُهُ ... وقد تبينتُ ألا خير في الكذب

إن خُراسان أرضٌ قد رأيتُ بها ... بيضاً لا أفرخ قد حُدثت بالعَجَب

فراخُ عامين إلاّ أنها كبرت ... لما يطرنَ وقد سُربلن بالزغبَ

فإن يطرنَ ولم يُحتل لهُن بها ... يُلهبن نيرانَ حرب أيما لَهبَ

وكما كان جواب الخليفة إلى نصر سلبياً، فقد كان جواب ابن هبيرة إليه سلبياً كذلك، وقد عاد نصر وكتب[2] إلى الخليفة يعظم له شأن أبي مسلم ويذكر أنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد العباسي، وقد تصادف عند وصول هذا الكتاب إليه العثور على كتاب آخر من إبراهيم إلى أبي مسلم، يوبخه لأنهه لم ينتهز الفرصة السانحة له ويفرغ من نصر والكرماني معاً، ويأمره ألاّ يدع بخراسان عربياً إلا قتله.

---

(١) الطبري: المصدرالسابق، جـ٧، ص ٣٦٩ - ٣٧٠.
المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص ٢٤١ - ٢٤٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٠.
ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، جـ٢، ص ١١٥ - ١١٦.

ولا جدال في أن هذه المقالة الأخيرة قد كانت من قبيل المبالغة، وإلا فإن أبا مسلم قد اعتمد على العنصر العربي في خراسان، وقد سبق وذكرنا أن ثمانية من نقباء الدعوة الاثني عشر قد كانوا من العرب، وأن الذي سوف يتولى أعنة الحرب حتى يصل بالجنود إلى قلب العراق قد كان عربياً طائياً وهو قحطبة بن شبيب، وأن خزاعة وهم عرب قد كان لهم دور كبير في نجاح الدعوة في خراسان، وعليه فإن أمر إبراهيم لأبي مسلم بقتل من قدر عليه من العرب إنما كان يعني الذين كاشفوه البغضاء، وناصبوه العداوة. وأيًا ما كان فإن أبا مسلم[1] لما أيقن بأن الفرقة قد عادت أدراجها إلى اليمن ومضر، وأن الصلح الذي كان قد أبرم بينهما قد انطوى، وأسدل الستار عليه وأمر جنوده أن يبنوا بيوتهم، ويستعدوا لاستقبال الشتاء، وأقام في معسكره في الماخوان ثلاثة أشهر كان ابتداؤها في النصف من صفر.

(د) نحو مرو عاصمة الإقليم:

وفي يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى تحرك متوجهاً في جنده إلى مدينة مرو، وهي عاصمة خراسان آنذاك، وفيها قصر الإمارة. وتختلف روايات الطبري الثلاث فيما كان بعد ذلك حتى دخل أبو مسلم المدينة، ونزل قصر الإمارة فيها. فيذهب بعضها[2] إلى أن أبا مسلم طلب من علي بن جديع أن يدخل حائط مرو، وينشب المعركة، وكان علي قد طلب منه أن يكون هو البادئ إلا أنه أبى حتى لا يضع ابن الكرماني يده في يد

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٠٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

نصر، وتم الأمر كما أراد أبو مسلم، ودخل المدينة والفريقان يقتتلان وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾(القصص ١٥) ولما تم له الأمر أخذ البيعة من الشيعة، وقد أوردت رواية أبي الخطاب نص هذه البيعة وهو: «أبايعكم على كتاب الله - عز وجل - وسنة نبيه ﷺ والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله ﷺ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، والطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله، وعلى ألا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به ولاتكم، وإن كان عدو أحدكم تحت قدمه فلا تهيجوه إلا بأمر من ولاتكم».

وذهب المدائني[١] إلى أن أبا مسلم قد أقام في الماخوان ثلاثة أشهر، وأنه تحرك منها نحو مرو في السابع أو التاسع من شهر ربيع الثاني. وأن نصراً قد خشي أن يجتمع هو واليمانية عليه فطلب منه أن يوادعه، ويدخل مدينة مرو، فوافقه الرجل على هذا الاقتراح، وبعد يوم تحرك هو نحو المدينة، وترك الفريقين يقتتلان حتى دخلها وهو يتلو الآية التي ذكرتها في الرواية السابقة.

وتبقى الرواية الثالثة[٢] وفيها أن أبا مسلم بعد أن أقام في الماخوان ثلاثة أشهر، توجه في الجنود إلى مرو، فوجد الفريقين يقتتلان فأمرهما بالكف ودخل المدينة ووضع يده عليها.

أما نصر[٣]، فإن أبا مسلم قد دعاه إلى السلم والدخول في طاعة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٨٠.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣١٠.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٨١. =

الرضا من أهل البيت، وأمام اجتماع اليمن والعجم عليه فكر في قبول ما عرضه عليه أبو مسلم، غير أنه ما لبث أن تراجع وأخذ طريقه نحو الهرب، والسر في هذا أن أبا مسلم قد أرسل إليه لاهز بن قريظ التميمي يفاوضه في الصلح، غير أن لاهزاً هذا قرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾(القصص ٢٠) فأمر غلامه أن يحضر له وضوءاً، وأوى إلى بستان في المنزل ثم أخذ طريقه نحو الفرار.

وقد قبض أبو مسلم[١] على بضع وعشرين من خاصته واستشار فيهم أحد نصائحه فقال له: ليكن صوتك السيف، وسجنك القبر، فأمر بهم فقتلوا وقتل لاهز أيضاً عندما علم أبو مسلم بما قرأه على نصر واعتبر ذلك خيانة منه.

(هـ) مصير ابني الكرماني وشيبان الحروري:

وأدع ابن سيار وما كان من شأنه حتى انتهى أمره، وأذكر أولاً: ما كان بين أبي مسلم وبين شيبان الحروري، وما كان بينه وبين علي وعثمان ابني جديع بعد ذلك، ثم أعود مرة أخرى إلى نصر، لأن نهايته قد كانت بعد القضاء على شيبان وابني جديع جميعاً. وقد روى الطبري[٢] ما كان بين أبي مسلم وبين شيبان من طريق المدائني. وخلاصة ما ذكره هذا الراوي وشيوخه

= اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص٣٤٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٠ - ٣١١.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٨٠ - ٣٨٥.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٨٥.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١١.

أن شيبان قد غادر مرو، وارتحل إلى سرخس[1]، والسبب في هذا: هو أنه لم يوافق ابني جديع على مسالمته، والدخول في طاعته، ولم يستطع أن يحاربه وابني جديع معاً، وقد أرسل إليه أبو مسلم يطلب منه الدخول في طاعته، فرد عليه يدعوه هو إلى الدخول في طاعته، ولما لم يتفق الرجلان على شيء طلب منه أبو مسلم أن يغادر المكان الذي هو فيه فأبى، وحبس الرسل التسعة الذين كان قد أرسلهم أبو مسلم إليه.

وهكذا تفاقم الأمر بين الرجلين وأصبحت الحرب ضرورة ليس إلى تلافيها من سبيل. ومن أجل ذلك كتب[2] أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم يأمره أن يزحف إلى شيبان من أبيورد ويقاتله ودارت رحى الحرب وتمكن بسام من هزيمة شيبان وقتله وقتل عدداً غير يسير من بكر بن وائل الذين كانوا أنصاره وجنده.

ومن الروايات[3] ما تذكر أن الجيش الذي أرسله أبو مسلم إلى شيبان قد كان بقيادة خزمية بن خازم، وبسام بن إبراهيم. وأن هذا الجيش لم يتوجه من أبيورد[4] وإنما كان من قبل أبي مسلم نفسه. وسواء أصحت هذه الرواية

---

(١) سرخس: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الخاء المعجمة، وآخره سين مهملة، ويقال سرخسس بالتحريك، وهي مدينة قديمة من نواحي خراسان.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص٢٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص٣٨٦.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٨٦.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص٣١١.

(٤) أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا.
ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص٨٦.

أم سابقتها فإن أبا مسلم قد استراح من رجل شديد العداوة له، شديد الشكيمة في مواجهته ومنازلته. وبقي أمامه علي وعثمان ابنا جديع اللذان انقادا له ودخلا في طاعته، وإن كان أبو مسلم لم يسترح إليهما يوماً، وإنما وضع يده في أيديهما حتى يفتح مدينة مرو، ويقهر عامل الأمويين نصر بن سيار ثم لا يتردد في اهتبال الفرصة في قتلهما إذا هي سنحت له، وهذا ما كان، فإن أبا مسلم لما اضطر نصر إلى الهرب وقتل شبيان الحروري راح يخطط للظفر بهذين الرجلين حتى تخلص له خراسان وقد حكى لنا الطبري الظروف التي هيأت له هذه الفرصة وحاصل ما جاء على لسانه:

أن أبا مسلم[1] وجه موسى بن كعب إلى أبيورد ففتحها، ووجه أبا داود إلى بلخ[2]، وكان بها يومئذ زياد بن عبدالرحمن القشيري فجمع الأعوان من هذه المدينة وما حولها من قرى طخارستان إلى الجوزجان[3] غير أن زياداً هذا لم يكد يرى أبا داود حتى انصرف منهزماً

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) مدينة مشهورة بخراسان، طولها مائة وخمس عشرة درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وهي في الإقليم الخامس، وبلخ من أجمل مدن خراسان وأكثرها خيراً، وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم
ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص ٤٧٩.

(٣) الجوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية، ومن مدنها الأنبار وفارياب وكلاَّر.
ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٨٢.

إلى الترمذ[1]. وترك أبا داود فدخل بلخاً واستولى عليها.

واستدعاه أبو مسلم بعد ذلك وجعل مكانه أبا الميلاء يحيى بن نعيم. وكاتب زياد أبا الميلاء هذا واستطاع أن يستقطبه إليه. واجتمعت كلمة المضريين واليمنيين ومن انضم إليهما من الأعاجم على قتال المسودة، وأمَّروا عليهم جميعاً مقاتل بن حيان النبطي.

وأمام ذلك أمر أبو مسلم أبا داود بالعودة[2] من حيث أتى، ودارت بينه وبين مقاتل معركة فاصلة على كسب من نهر السرجنان تجرع فيها جيش مقاتل الهزيمة واحتوى أبو داود معسكره واستصغر أموالهم، وأعاد مدينة بلخ مرة أخرى إلى أملاك أبي مسلم.

واستدعى أبو مسلم[3] بعد ذلك أبا داود وأحل مكانه النضر بن صبيح. واتفقت كلمة الرجلين أبي مسلم وأبي داود على التفريق بين عثمان وعلي بن جديع، فاستعمل أبو مسلم عثمان على بلخ، واستخلف عثمان بن الفرافصة على المدينة.

وأقبلت المضرية[4] يقودهم مسلم بن عبدالرحمن الباهلي، ودارت

---

(١) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالصاغنيان، ولها قهندز وربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم مشرب يجري من الصاغنيان لأن جيحون يستقل عن شرب قراهم.
ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص ٢٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٧٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٨٧.

(٤) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٨٧ - ٣٨٨. =

بينهم وبين جنود عثمان معركة حامية في قرية بين البروقان وبين الدسبتحرد كانت الهزيمة فيها إلى جانب جنود عثمان، وغلب المضرية على مدينة بلخ وأخرجوا الفرافصة منها. ثم إن عثمان والنضر بن صبيح التقيا مرة أخرى بالمضرية وكما هزم رجال عثمان بالمرة الأولى فقد هزموا كذلك في المرة الثانية وعاد أبو داود فوضع يده على بلخ. وسار أبو مسلم ومعه علي بن جديع إلى نيسابور[1]. واتفق رأيه ورأي داود على أن يقتل الأول علي ويقتل الثاني عثمان، وأن يكون ذلك في يوم واحد. وتم الأمر كما أرادوا وقتل علي وعثمان.

وكان أبو مسلم[2] قبل ذلك قد طلب من علي أن يطلعه على أسماء خاصته حتى يبرهم ويبالغ في إكرامهم، وانطلت الحيلة على الرجل وأفضى إلى أبي مسلمٍ بما أراد منه ولما قتل عمد أبو مسلم إلى هؤلاء الرجال فقتلهم جميعاً.

= ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٣١٢.

(١) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاورز، وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، ومدينة نيسابور خارجة من الإقليم الرابع من الإقليم الخامس، ومن أسماء نيسابور أبر شهر، وبعضهم يقول إيرانشهر، والصحيح أن إيرا نشهر هي ما بين جيحون إلى القادسية ومن الري إلى نيسابور مائة وستون فرسخاً.
ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٣٣١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٧، ص ٣٨٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٣١٢.

(و) نهاية نصر ومتابعة الفتح :

وهكذا استراح الرجل من شيبان وابن الكرماني ولم يبق أمامه سوى نصر الذي فر هارباً إلى سرخس كما أسلفت والذي راح ينتقل من بلد إلى بلد حتى تخلص منه هو الآخر، كما سوف أوضح ذلك الآن.

وقد روى المدائني وشيوخه ما جرى من الأحداث حتى قضي على نصر. وخلاصة[1] ما جاء في هذه الرواية أن ابن هبيرة عامل الأمويين على العراق قد بعث إلى نصر جيشاً من أهل الشام يقوده ابن نباتة وأن هذا الجيش قد مر في طريقه بفارس، وأصبهان[2]، والري[3]، حتى انتهى بجرجان[4] وأن نصراً وجنوده قد انضموا إليه من قومس وبعث إبراهيم الإمام قحطبة في طائفة من الوجهاء منهم أسيد بن عبدالله الخزاعي، وخالد بن برمك،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٩١.

(٢) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وأصبهان اسم للإقليم بأسره وكانت مدينتها أولاً جياً ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع، طولها ست وثمانون درجة، وعرضها ست وثلاثون درجة.
ياقوت: معجم البلدان، جـ١، ص ٢٠٦.

(٣) الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً، ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً.
ياقوت: المصدر السابق، جـ٣، ص ١١٦.

(٤) جرجان: بالضم، وآخره نون، قال صاحب الزيج: طولها ثمانون درجة ونصف وربع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة، وهي في الإقليم الخامس، من أكبر المدن، وهي قطعتان إحداهما المدينة والأخرى بكرأباذ.
ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٩.

وأبو عون وموسى بن كعب، والمسيب بن زهير، وغيرهم. وكان ذلك في ذي القعدة من السنة المكملة لَلثلاثين بعد المائة.

وقبل أن يتصل قحطبة بالجنود عبَّأ جيوشه ورتب قواده وقال[1]: « يا أهل خراسان أتدرون إلى من تسيرون ومن تقاتلون؟ إنما تقاتلون بقية من أحرقوا بيت الله عز وجل ».

وتقدم الحسن بن قحطبة وكان على مقدمة هذا الجيش حتى وصل إلى تخوم خراسان.

وبعث طائفة من فرسانه إلى مُسلحة لنباته عليها رجل يدعى ذؤيب فبيتوه وقتلوا سبعين من أصحابه، وعادوا مرة أخرى إلى عسكرهم. وكان قحطبة قد انتهى إليهم فوقف الجيشان كلاً منهما بإزاء صاحبه، ولأن أهل الشام قد كانوا من العدد والعدة بمكان فإن أهل خراسان قد هابوهم، واضطربوا خوفاً منهم، الأمر الذي دعا قحطبة إلى أن يخطب فيهم قائلاً[2]:

« يا أهل خراسان، هذه البلاد كانت لآبائكم الأولين، وكانوا ينصرون على عدوهم بعدلهم وحسن سيرتهم، حتى بدلوا، وظلموا، فسخط الله عز وجل عليهم، فانتزع سلطانهم، وسلط عليهم أذل أمة كانت في الأرض عندهم، فقبلوهم على بلادهم، واستنكحوا نساءهم، واسترقوا أولادهم،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٧، ص ٣٩١.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٣٩١ - ٣٩٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٣ - ٣١٤.

فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد وينصرون المظلوم، ثم بدلوا، وغيروا وجاروا في الحكم، وأخافوا أهل البر والتقوى من عترة رسول الله ﷺ فسلطكم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشد عقوبة، لأنكم طلبتموهم بالثأر. وقد عهد إلي الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله - عز وجل - عليهم فتهزمونهم وتقتلونهم».

وواضح من هذه الخطبة المؤثرة أن قحطبة قد أثار عصبية العجم، وبين لهم الأسباب التي من أجلها غلبهم العرب، وأخذوا بلادهم منهم، وكيف أنها عينها هي الأسباب التي سوف تؤدي إلى نصرهم، فقد جار هؤلاء العرب وظلموا واستباحوا عترة النبي - عليه الصلاة والسلام - وأهل بيته، وأنهى خطبته هذه بما ظن أنه سيلهب عزائم القوم، ويدفعهم إلى الاستماتة في القتال، فأخبرهم أن الإمام قد حدد له زمان هذه المعركة ومكانها، وأنبأه بأنه سوف ينصر على عدوه فيها. ودارت[1] رحى القتال بين قحطبة وبين ابن نباته، وكان ذلك يوم الجمعة في مستهل ذي الحجة في السنة المكملة للثلاثين، وقبل أن تتزاحف الصفوف ويشتبك الفريقان بالأسنة والسيوف عاد قحطبة إلى تحريض القوم وتحميسهم فقال:

«يا أهل خراسان[2] إن هذا اليوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف، وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل، وقد أخبرنا الإمام أنكم تُنصرون في هذا اليوم من هذا

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٩٢.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٤.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣٩٢.

الشهر على عدوكم، فالقوة بجد وصبر واحتساب، فإن الله مع الصابرين».

وواضح من هذه الخطبة الثانية أنها مثل الأولى في إثارة عواطف العجم، وإهاجة مشاعرهم والإيحاء إليهم أن الإمام يعلم الغيب، وهو من أجل هذا حدد مكان المعركة وزمانها وأكد ظفر أنصاره على أعدائه فيها.

ولا جدال في أنه لا الإمام إبراهيم ولا قحطبة يعلمان شيئاً من الغيب؛ لأن الله تعالى قد استأثر به وذكر في القرآن العظيم أن مفاتيحه بيده، وما قاله قحطبة ليس إلا تخرصاً وافتراء لا هدف له سوى تحميس الجنود ودفعهم إلى الاستماتة في الحرب والاستبسال في القتال وقد تم له ما أراد فقد هزم جيش الشام، وقتل قائده وعشرة آلاف منهم، وبعث قحطبة برأس ابن نباتة إلى أبي مسلم.

وارتحل[1] نصر بطبيعة الحال إلى خوار مرو، وأرسل قحطبة إلى قومس جيشاً بقيادة ابنه الحسن، ثم أمده بجيش بقيادة أبي كامل وأبي القاسم محرز بن إبراهيم، غير أن أبا كامل لم يكد يقترب من الحسن حتى أوى إلى نصر، وانضم إليه، وأرشده إلى مكان زميله، فبعث إليهم قوة حاصرتهم، واضطرتهم إلى الفرار واستولى رجاله على ما خلفوا من المال والمتاع.

ثم ارتحل نصر إلى مرو[2]، وأقام فيها يومين ثم غادرها مريضاً إلى

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٠٣.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٣.
الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٦٣.

ساوه حيث مات هناك. ومن الرواة من يدعي[1] أن نصراً لم يدخل الري ولكنه أخذ المفازة التي كانت بينها وبين همذان فمات بها.

وأياً ما كان فإن وفاته قد كانت في الثاني من ربيع الأول من السنة الحادية والثلاثين بعد المائة. وسنه إذاك خمس وثمانون سنة. وبوفاة نصر انقادت كل القوى في خراسان لأبي مسلم وخلص تماماً من زعماء اليمانية والمضرية على السواء.

وإنصافاً للتاريخ فإني أرى أن نصر بن سيار قد كان رجل سياسة وحرب لا نظير له، وأنه كان أحد الأكفاء القلائل الذين استعان بهم الحكم الأموي في خراسان، فقد صبر لأبي مسلم وقاومه في شجاعة وبسالة، وظل كذلك حتى مات حتف أنفه، ولو أن هذا الرجل وجد أذناً صاغية من القبائل المتصارعة في خراسان أو وجد أذناً صاغية من الخليفة في دمشق أو من عامله على العراق، لما استطاع أبو مسلم أن يبلغ هدفه بهذه السرعة، ولا أن يحقق ما كان يرمي إليه بهذا اليسر وهذه البساطة. فقد دعى نصر كلاً من شيبان وابن الكرماني إلى موادعته حتى يفرغ لأبي مسلم، أو إلى وضع أيديهم في يديه حتى يحاربه وإياه في خندق واحد ونبه كلاً من مروان، وابن هبيرة إلى الخطر المحدق والشر المُنيخ، غير أن الظروف كانت أقوى من تدبيره وأن المقادير كانت تجري في غير صالحه.

فقضي وأُسدل الستار على حياته.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٤.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣١٧.

وتابع أبو مسلم وقحطبة الفتح حتى استوليا تماماً على خراسان، ومنها إلى تخوم العراق، وخلاصة ما ذكره صاحب الأمم والملوك في ذلك، أن[1] قحطبة قد نزل الري، وأن أبا مسلم قد تحول من مرو إلى نيسابور وخندق بها. وبعد ثلاثة أيام من وصول قحطبة إلى الري بعث ابنه الحسن إلى همذان[2] ويقف الطبري عند هذا الحد ويترك الرواية لأبي علي المدائني وشيوخه، الذين يذكرون أن الحسن لما وصل همذان، غادرها مالك بن أدهم ومن معه من جنود نصر إلى نهاوند[3]، وأن الحسن قد زحف إليهم وحصرهم، وكان أبوه قحطبة قد أمده بسبعمائة. عليهم أبو الجهم بن عطية.

غير أنه لم يفرغ منهم ولم يستطع اقتحام مدينتهم عليهم إلا بعد أن أقبل إليه أبوه إثر قتل ابن ضبارة، ومن أجل هذا فإنني أرجئ الحديث عن فتح هذه المدينة، وما كان بين قحطبة وبين أنصار الأمويين فيها حتى أسلط الأضواء على قتل ابن ضبارة.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٢) همذان: بالتحريك، والذال معجمة، وآخره نون، في الإقليم الرابع، وكان فتح همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة في سنة ٢٤ من الهجرة.
ياقوت: معجم البلدان، جـ ٥، ص ٤١٠.

(٣) نهاوند: بفتح النون الأولى وتكسر، والواو مفتوحة ونون ساكنة، ودال مهملة: ويقال سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي، ونهاوند في الإقليم الرابع، وكان فتحها سنة ١٩هـ ويقال سنة ٢٠هـ، وذكر أبو بكر الهذلي عن محمد بن الحسن: كانت وقعة نهاوند سنة ٢١هـ أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.
ياقوت: المصدر السابق، جـ ٥، ص ٣١٣.

وابن ضبارة[1] هذا هو أحد قادة ابن هبيرة. وكان قد أسند إليه مهمة قتال عبدالله بن معاوية، فهزمه وراح يتتبعه حتى وصل إلى كرمان[2]. وكان ابن هبيرة قد أتته أخبار ابن نباته فكتب إلى ابن ضبارة يأمره ويأمر ابنه داود أن يتوجها إلى قحطبة لقتاله، وانطلق الرجلان حتى وصلا إلى أصبهان في جيش قوامه خمسون ألفاً. ولكثرة عدد هذا الجيش، وكثرة عدّته فقد كان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر. ولما علم[3] قحطبة بتوجهه نحوهم بعث إليه جيشاً يقوده العكي. وقد زحف هذا الجيش حتى انتهى إلى قم[4]، وكان ابن ضبارة لما علم بمحاصرة الحسن بن قحطبة بنهاوند، أراد أن يتوجه إليها ويفك الحصار عن أنصار الأمويين فيها، وعلم مقاتل بن حكيم العكي ما اعتزم عليه ابن ضبارة وبعث الخبر إلى قحطبة الذي ضم إليه العكي، ثم التقى بجنود ابن ضبارة في معركة فاصلة انتصر فيها قحطبة وقتل ابن ضبارة، وقد اختلف شيوخ المدائني في السبب الذي من أجله قتل هذا القائد على الرغم من كثرة ما كان معه من العدد والعدة.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٥.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٨.

(٢) كرمان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان في الإقلم الرابع، فتحت في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد عثمان بن العاص.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٣١٨ - ٣١٩.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) قم: بالضم، وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية: وقم مدينة تذكر مع قاشان، وطول قم أربع وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وثلثا، وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصرها طلحة بن الأحوص الأشعري.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٣٩٧.

فذهب بعضهم[1] إلى أن الجنود الذين كانوا معه كانوا فرساناً، وأن جيش قحطبة قد كان فيه الخيل والرجالة، فعمد الرماة فرشقوا وجوه خيل ابن ضبارة فولت الأدبار لا تلوي على شيء وأوى ابن ضبارة إلى العسكر، فتبعه قحطبة فناوره، وقاتل ابن ضبارة حتى قتل.

وذهب البعض[2] الآخر إلى أن السبب في الهزيمة هو فرار داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وقد كان شريكه في القيادة، ففت ذلك في عضده، وهزم وقتل.

وأياً ما كان فإن جنود قحطبة قد هاجموا عسكر أعدائهم وغنموا ما فيه، وكان قد حوى من المال والمتاع ما لا يقع تحت حصر.

وسبب ثالث[3]: لاسبيل إلى إغفاله في هزيمة ابن ضبارة وقتله وهو: ترف أهل الشام وإسرافهم في المتع والملذات، والدليل على هذا هو ما قيل في وصف عسكرهم من أنه لم يكن فيه بيت واحد إلا وفيه زقٌّ من الخمر.

ولا جدال في أن مثل هذا الترف يذهب بنخوة الجند، ويجعلهم أحرص على الدنيا منهم على الآخرة.

وأعود إلى نهاوند وأذكر[4] أن قحطبة لما فرغ من ابن ضبارة،

---

(١) الطبري: تايخ الأم والملوك، جـ٧، ص٤٠٦.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص٤٠٦.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص٤٠٦.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٣١٩.

(٤) الطبري: تاريخ الأم والملوك، جـ٧، ص٤٠٧.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص٣١٨.

وجنوده، كتب بالفتح إلى ولده الحسن الذي لم يكد يسمعُ النبأ حتى كبر، وكبر معه رجاله، وعلم المحاصرون في نهاوند أن ابن ضبارة قد قتل، وأن قحطبة لن يلبث إلا قليلاً حتى يقبل إليهم بما لا قبل لهم به، واقترح عليهم عاصم بن عمير أن يخرجوا هاربين بأنفسهم من الخطر المشرف عليهم، غير أن هذا الرأي لم يعجب المشاة من الجيش، واتهموا عاصماً ومن معه من الفرسان بأنهم إنما يريدون النجاة بأنفسهم، وأن يتركوهم طعاماً لسيوف قحطبة وجنوده.

وهكذا أقام المحاصرون ولم يخرجوا كما نصحهم عاصم، وبعد عشرين يوماً أقامها قحطبة في أصبهان نصب السلالم على حصون قهندز، ويختلف شيوخ المدائني فيما كان بينه وبين أهلها، فيذهب بعضهم[1] إلى أن مالك بن أدهم طلب من قحطبة الأمان لنفسه ولأهل الشام، فأجابهم إليه، وأطلق، وقتل غيرهم من أهل خراسان.

ويذهب بعضهم[2] إلى أن مالكاً لما أخذ الأمان لنفسه ولأهل الشام غضب من ذلك الخراسانيون وأراد بهيس بن بديل قتل مالك، غير أن أهل خراسان رأوا الأبواب تفتح أمام أهل الشام فدخلوا معهم، فقبض عليهم قحطبة وأودعهم حائطاً ثم قتلهم.

وثم رواية ثالثة[3] لم يحدد الطبري أسماء أصحابها وحاصلها: أن قحطبة عرض الأمان على أهل خراسان وأهل الشام معاً، وأن أهل خراسان

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٧.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٠٨.

(٣) الطبري: المصدرالسابق، جـ٧، ص ٤٠٨.

لم يقبلوه منه، وقبله أهل الشام ولكي يخرجوا في غفلة من إخوانهم سألوا قحطبة أن يشغلهم بالحرب حتى يفتحوا الباب الذي يليهم ويخرجوا منه، ورأى أهل خراسان خروج أهل الشام، فسألوهم فقالوا: اخترنا الأمان لنا ولكم، فخرجوا معهم، فأمر بهم قحطبة فقتلوا من عند آخرهم.

وهذه الروايات الثلاثة تتفق على أن أهل الشام هم الذين نجوا، وأن أهل خراسان قد قتلوا من عند آخرهم.

ويبدو لي أن قحطبة قد كان مصراً على قتل الخراسانيين لأن فيهم الكثير من الذين كانوا مع أبي مسلم ثم خانوه وانضموا إلى أعدائه.

وعلى هذا الأساس فإنه كان سيقتلهم إن نزلوا على الأمان أو لم ينزلوا.

والروايتان اللتان ذكرتا أن الخديعة ورفض الخرسانيين للأمان قد كانا هما السببين اللذين من أجلهما قتلوا، إنما هما مكتملتان في تصوري لتبرير ما فعله قحطبة ودفع اللائمة عنه. وأيًا ما كان: فإن قحطبة[1] لم يكد ينتهي من فتح نهاوند حتى بعث أبا عون، ومالك بن طريف إلى شهرزور لفتحها، وإقصاء عثمان بن سفيان عنها، وكانا قد أتيا إليها في مقدمة جيش عبدالله بن مروان.

وتختلف الروايات في عدد القوة التي كان يقودها أبو عون ومالك،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٠٩.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣١٩ - ٣٢٠.
غنيم: دور العباسيين في طلب الخلافة، ٩٦ - ٩٧.

أهي أربعة آلاف، أم ثلاثون ألفاً، وتختلف كذلك في عثمان قائد القوة التي بعثها إلى شهرزور عبدالله بن عبدالملك بن مروان وهل قتل في المعركة، أم أنه فر هارباً إلى من أرسله.

وعلى كل حال فإن أبا عون قد كسب المعركة، وأنزل الهزيمة الساحقة بالجنود الأمويين فيها، ولما بلغت مروان هذه الأنباء، وكان في حران تحرك بالجنود حتى أتى الموصل، وأدرك بنو أمية الخطر المحدق بهم فحشروا أبناءهم مع مروان حتى يكونوا في أمن بين جنود الخليفة. ثم إن مروان قد تقدم حتى انتهى إلى الزاب الأكبر[1].

(ز) نحو الكوفة :

وبدلاً من أن تنشب المعركة بين الخليفة، وبين جنود بني العباس، رأينا قحطبة يتجه في جنده نحو الكوفة[2] لفتحها، وبسط سلطانه عليها، والسبب في هذا هو أن داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة لما أتى أباه منهزماً من حلوان خرج أبوه لقتال قحطبة بنفسه، وكان مروان الخليفة قد أمره بحوثرة في عشرين ألفاً.

(١) وهو ما بين الموصل وإربل، ومخرجه من بلاد مشتكهر، وهو حد ما بين أذربيجان وبليغش وهو ما بين قطينا والموصل من عين في رأس الجبل وينحدر إلى واد.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٣، ص ١٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤١٠ - ٤١١.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٢٠.
والكوفة: بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، وسميت كوفة لاجتماع الناس بها، وهي في الإقليم الثالث، وتم تمصيرها أيام عمر بن الخطاب، في السنة التي مصرت فيها البصرة سنة ١٧ - وقيل: سنة ١٩، وقيل: سنة ١٨.
ياقوت: معجم البلدان، جـ٤، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

ومضى ابن هبيرة حتى انتهى إلى جلولاء، ومضى قحطبة حتى وصل إلى الخانقين. وأهمت قحطبة أخبار ابن هبيرة، وأراد أن يعرف مكانه فأرسل ولده الحسن إليه فعرف خندقه، وجاءه بأخباره وأرسل إليه قحطبة ألا يواجهه، وأن يأخذ طريقه نحو الكوفة، وسأل من يدله على طريق يصل به إليها شريطة ألا يمر على ابن هبيرة، فأجابه ابن المورع الهمذاني، وعبر به تامراً[1] من روستقباذ، ولزم الجادة حتى نزل بزرج سابور، وأتى عُكبراء فعبر دجلة إلى أوانا.

وبعث قحطبة خازم بن خزيمة، وأمره أن يعبر دجلة ويسير بينها وبين دجيل، حتى يأتي الأنبار[2] ويجمع ما فيها من السفن ويأتي بها إلى قحطبة في دمما.

وتم الأمر كما أراد، ثم إن قحطبة عبر الفُرات، ووجه الأثقال في البرية، وسارت الفرسان معه على شاطئ الفرات.

وبلغت أنباء قحطبة ابن هبيرة[3]، وأنه آخذٌ طريقه نحو الكوفة فأشار عليه حوثرة وناس من وجوه أهل الشام، أن يترك قحطبة وما يريد ويذهب هو إلى خراسان، فيبسط يده عليها ولم يرتض ابن هبيرة هذا الرأي، وأمر

---

(١) تامرا: بفتح الميم: وتشديد الراء، وهي طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي، وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود، ومخرج هذا النهر من جبال شهر زور والجبال المجاورة لها.
ياقوت: المصدر السابق، جـ ٢، ص ٧.

(٢) الأنبار: بفتح أوله: مدينة قرب بلخ، وهي قصبه ناحية بجوزجان، وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل، وهي أكبر من مرو الروذ وبالقرب منها.
ياقوت: المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٥٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ ٧، ص ٤١٣.

حوثرة وكان على مقدمته، بالاتجاه نحو الكوفة. وقبل أن أواصل السير خلف الفريقين المتحاربين لأعرف على يد من منهما كان الظفر. يحسن بي أن أقف قليلاً لأعرف أي الرجلين قد كان على صواب حوثرة أم ابن هبيرة.

والذي يمعن النظر في رأي كلٍّ منهما يلاحظ: أن الصواب قد كان إلى جانب حوثرة، لأن ابن هبيرة لو توجه إلى خراسان لاستطاع بسط سلطانه عليها، لأن أكثر أنصار العباسيين قد كان مع قحطبة، ولو تم له ما أراد لقطع مادة الرجل، ولا ستطاع أن يتعاون عليه، هو والخليفة مروان فيقطعان عليه الطريق ولما بلغ ما يريد.

أما رأي ابن هبيرة فإن الأيام قد أثبتت خطأه لأن قحطبة استطاع أن يمضي في طريقه ويُنزل الهزيمة بجنود ابن هبيرة.

صحيح أنه قد قتل في أثناء ذلك، ولكن الهدف الذي كان يرمي إليه قد تحقق، فقد فتحت الكوفة وحصر ابن هبيرة وجنوده في واسط. وكانت النتيجة أن سقطت هذه المدينة إثر مقتل مروان بن محمد في مصر.

(ح) تحقيق مقتل قحطبة:

وأعود إلى قحطبة وما كان بينه وبين ابن هبيرة وأذكر أن: الفريقين[1] المتحاربين قد كانا يسيران نحو الكوفة، ابن هبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة في غربية مما يلي البر، وعبر إلى قحطبة أعرابي في زورقه، فسأل عنه، فذكر له أنه من طيئ وطلب منه أن يسقيه، فلما شرب قال:[2] الحمد

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤١٣.

لله الذي أمـد في أجلي حـتى رأيت هذا الجـيش يشـرب من هـذا النهـر، واهتبل[1] قحطبة هذه الفرصة، فراح يزعم أن إمامه قد أخبره أن له وقعة على هذا النهر، وأن النصر سوف يكون إلى جانبه وطلب من الأعرابي أن يدله على مخاضة، فدله على من أرشده إليها، ووافاه جنود الشام، وبدلاً من أن يعبر إليهم رأى أن ينتظر حتى يمضي الشهر الحرام ومنه ليلة عاشوراء، وكانت ذات شأن عند الهاشميين في ذلك الوقت، فقد قتل في صبيحتها الحسين بن علي وقتل معه آله ورجاله.

ومن الرواة من قال: [2] إن قحطبة قد دل على المخاضة ليلة الأربعاء، لثمان خلون من المحرم، وأنه عبرها في عدة من أصحابه فور العثور عليها والتقى بجند ابن هبيرة، واستطاع أن ينزل بهم الهزيمة ويضطر حوثرة إلى الفرار حتى يلجأ إلى قصر ابن هبيرة وأصبح الجند فلم يجدوا أميرهم قحطبة، وكان قد هلك.

ويختلف رواة الطبري في كيفية قتل هذا الرجل ويختلفون كذلك في اسم قاتله، وفي الأسباب التي من أجلها لقي هذا المصير.

ويختلفون أخيراً في أيِّ ابنيه بويع من بعده الحسن، أم حُميد.

ولخطورة هذه القضية، وتناقض الروايات حولها، فقد رأيت أن أقف حيالها برهة لعلِّي أستطيع كشف ما يكتنفها من الغموض فقد انقسم الرواة حولها كما ذكرت، فمنهم من يذكر[3] أن الناس أصبحوا وقد فقدوا

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٣ - ٤١٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٣.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤١٤.

أميرهم، فما يدرون متى قتل؟ ولا كيف قتل؟ ومنهم من يذكر[1] أنه وجد هو وحرب ابن سلم بن أحوز قتيلين في جدول فظن الناس أن كلاً منهما قد قتل صاحبه.

وثم روايتان أخريان[2] تصرح إحداهما: بأن الذي قتل قحطبة هو معن بن زائدة.

وتصرح الثانية أن الذي قتله هو أحلم بن إبراهيم ويبدو أن هذه الرواية هي الراجحة، وذلك لأن أحلم[3] نفسهُ قد صرح بهذا عند موته وذكر السبب الذي دفعه إلى أن يفعل ما فعل وهو: أن قحطبة قد قتل الكثيرين من أبناء نصر، وأنه قد نمي إليه عن أخيه بسام شيء، فخاف عليه منه، وأشياء أخرى لم يصرح بها ناقل هذا الخبر.

وإذا كانت هذه الرواية في تصوري هي الراجحة، فهل يمكن أن يكون قتل الرجل قد كان بإيعاز من أحد، وأن أحلم أو من نقل هذا الخبر عنه قد احتفظ به سراً فلم يطلع عليه أحداً وإذا كان هذا الفرض معقولاً، فمن صاحب المصلحة في الائتمار على قحطبة، والتخطيط للتخلص منه؟

وهل يمكن أن يكون هو أبو مسلم؟ هذا هو ما رجحه صاحب « دور العباسيين في طلب الخلافة »[4] وعلل له بأسباب منها:

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٥.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٦ - ٤١٧.

(٤) غنيم: دورالعباسيين في طلب الخلافة، ص ٩٩ - ١٠٢.

انتصارات قحطبة المتوالية، واكتسابه بذلك الحظوة عند العباسيين عامة، وعند الإمام على سبيل الخصوص، ومنها أن أبا مسلم قد كان يخشى مناقشة قحطبة له، وإنزاله إياه عن منزلته التي وصل إليها بدوره الذي اضطلع به في خراسان. ومنها: أنه كان يكره كل من كان يشعر بأنه خطر عليه مهما كانت منزلته ومهما كان جهاده وإخلاصه.

ومن أجل هذا قتل سليمان بن كثير، وأبا سلمة الخلال إلى آخر العلل والأسباب التي وردت في هذا الكتاب.

والحق أن هذه القضية في حاجة إلى مزيد من البحث والدرس حتى يصدر فيها الحكم التاريخي الفصل.

ويبقى من بويع خلفاً لقحطبة من ولديه، وقد اختلفت الروايات في ذلك فبعضها يذكر[1] أن الذي بويع هو حُميد.

وبعضها يذكر:[2] أن الذي بويع هو الحسن. ويبدو لي أن الاتجاه الثاني هو الأرجح، وذلك لسببين:

أحدهما: ما نصت عليه إحدى الروايات من أن قحطبة قد أوصى بمبايعته الحسن خلفاً له.

والثاني: أنه لم يرد ذكر لُحميد منذ أرسل الإمام قحطبة إلى خراسان ليتولى قيادة الجيش حتى قتل إلا في هذه الرواية. وأن الأضواء كلها قد

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤١٤.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٤.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٢١.

كانت مسلطة على الحسن، فقد كان أبوه يسند إليه قيادة إحدى فرق الجيوش التي كان يخرج بها للحرب، وكان ينيبه عنه في الفتح.

وقد مرَّ بنا الكثير من المهمات التي أسندت إليه في كلٍّ من خراسان، والعراق.

وعليه فهو أجدر أبنائه بخلافته، وتولي إمرة الجنود بعد وفاته.

ومهما يكن من شيء فإن الجنود قد بايعوا الحسن بعد وفاة أبيه، وبقي عليه هو أن يكُمل ما حال الموت بين قحطبة وبين الوصول إليه: وهو دخول الكوفة، وبسط سلطان العباسيين عليها. وقد تم له ما أراد، وفتحت هذه المدينة التي لم تهدأ منذ استشهد أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - حتى خرجت من بين أيدي الأمويين إلى سلطان بني العباس.

وقد أورد الطبري في فتح هذه المدينة روايتين تذكر إحداهما[1] أن محمد بن خالد لما بلغته أنباء انتصار قحطبة على ابن هبيرة، لبس السواد، وهو الزي الذي اختاره العباسيون شعاراً لهم، ودخل قصر الإمارة في الكوفة، واضطر عامل الأمويين عليها زياد بن صالح، ورئيس شرطته عبدالرحمن بن بشير العجلي إلى الارتحال. غير أن أنصار ابن خالد ما لبثوا أن تفرقوا عنه عندما علموا أن حوثرة متوجه إليهم لقتاله. وأمام هذا الخطر أرسل أبو سلمة - ولم يكن قد ظهر بعد - إلى ابن خالد يأمره بمغادرة الكوفة إلى أسفل الفرات، غير أن الرجل لم يوافق، وكانت الظروف تمشي في ركابه فقد جاءته طلائعه تخبره أن خيلاً من أهل الشام قد أقبلت إليه، فبعث

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤١٧.

إليها بعض مواليه لمدافعتها غير أنها أعلنت أنها إنما جاءت للدخول في طاعة الأمير، وتبعتها خيل أخرى أعظم وأكبر، فدخلت في طاعته أيضاً. وأمام هذا التخاذل من جند ابن هبيرة لم يجد حوثرة بُدًّا من العودة إلى واسط، وأرسل ابن خالد إلى قحطبة، ولم يكن قد عرف بنبأ قتله يخبره بما وقع وتسلم الحسن هذا الكتاب بطبيعة الحال وقرأه على الناس وفصل بجنوده إلى الكوفة ودخل قصر الإمارة فيها بعد ثلاثة أيام من استيلاء محمد بن خالد عليها.

وبحث الحسن عن أبي سلمة حتى وجده، فأسلم الأمر إليه، وقد كانت هذه هي وصية أبيه قحطبة له.

وهكذا ذكرت هذه الرواية فتح الكوفة. أما الرواية الثانية فخلاصتها:[1] أن محمد بن خالد لما أتاه نبأ توجه الحسن بن قحطبة الى الكوفة لفتحها لبس السواد، ووضع يده على قصر الإمارة، وكان عاملها عبدالرحمن بن بشير العجلي قد هرب عندما بلغه نبأ توجه الحسن إليها.

وقد دخل هذا القائد المنتصر المدينة في اليوم التالي لاستيلاء محمد بن خالد عليها، ثم إن الحسن قد بحث عن أبي سلمة حتى عثر عليه، وأعطاه ما تحت يده وراح أبو سلمة يرسل القوات إلى أنصار الأمويين في البصرة وغيرها من مدن العراق، إلا أن هذه المدينة الكبيرة لم يتم الاستيلاء عليها من قبل العباسيين إلا بعد الصلح الذي تم بين ابن هبيرة، وبين أبي جعفر قائد

---

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤١٨.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص ٣٢٢.

الجيوش العباسية التي كانت تتولى حصار هذه المدينة من قبل أبي العباس السفاح.

والآن وقد فتحت الكوفة، وظهر أبو سلمة حفص بن سليمان. وزير آل محمد كما كانوا يسمونه فماذا عن الإمام العباسي، وماذا عن أهل بيته، وكيف تمت بيعة أول خليفة من أبناء هذا البيت، وهو عبدالله بن محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس؟

والجواب: أن الإمام[1] محمد بن علي لما حضرته الوفاة أوصى بالإمامة إلى ولده إبراهيم، وظل إبراهيم هذا يباشر أعباء هذه المهمة حتى بعث كتاباً إلى أبي مسلم يلومه لأنه لم يفرغ من قادة المضريين واليمنيين المتصارعين في خراسان، ووقع هذا الكتاب في يدي مروان، فكتب إلى عامله على دمشق يأمره أن يقبض على إبراهيم ويرسله إليه.

وتختلف روايات الطبري فيما كان بعد ذلك فتذكر إحداها:[2] أن مروان قد وصف لرسوله الرجل الذي يريد القبض عليه وأنه لما جاءه إبراهيم رده لأنه ليس هو المراد، وكان الوصف منطبقاً على أبي العباس عبدالله السفاح. غير أن الرسول لم يستطع القبض عليه لأنه كان قد هرب هو وأهل بيته إلى الكوفة.

ولا تذكر هذه الرواية ماذا جرى لإبراهيم وكيف عاد مرة أخرى إلى مروان.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٢.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٢.

وتذكر الأخرى:[1] أن رسول مروان لما جاء للقبض على إبراهيم، ووجد الصفات المطلوبة توافرها لا تنطبق إلا على أبي العباس السفاح، أراد القبض عليه، فأبى أهل بيته وقالوا له إنما جئت للقبض على إبراهيم، واضطر الرسول إلى أخذ من سماه، وفي الطريق أشار أنصار إبراهيم عليه أن يقتل رسول مروان ويولي هارباً نحو الكوفة، وقبل الرجل هذه المشورة، غير أن أم ولده أشارت عليه ألا يقتله، فأصغى لنصيحتها، فكان ما كان من حبسه ثم قتله.

وتمضي هذه الرواية فتذكر[2] أن إبراهيم لما أتى مروان أشار عليه أحد خاصته أن يصهر إليه، فإن استولى على الأمر كان حرياً أن يعفو عنه وإلا فإن نسبه لن يضيره. وأجاب مروان بأنه لو كان يعلم أنه هو المقصود لفعل، ولكنه شخصٌ، ومن تتوافر فيه الصفات التي يعرفها شخصٌ آخر.

ومضى الطبري فذكر:[3] من غير أن ينسب ما قاله إلى أحد، أن إبراهيم لما قبض عليه نعى نفسه إلى أهل بيته، وأوصى بالخلافة، لأبي العباس أخيه، وأمر أهل بيته بالسمع والطاعة له، ثم توجه أبو العباس إلى الكوفة ومعه من أهل بيته، عبدالله بن محمد، وداود بن عيسى، وصالح وإسماعيل، وعبدالله، وعبد الصمد بنو علي ويحيى بن محمد، وعيسى ابن موسى بن محمد بن علي وعبدالوهاب، ومحمد ابنا إبراهيم، وموسى

(١) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٢ - ٤٢٣.
(٢) الطبري: المصدرالسابق، جـ٧، ص ٤٢٣.
(٣) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٣.

ابن داود، ويحيى بن جعفر بن تمام. . وكان قدوم أبي العباس ومن معه إلى الكوفة في شهر صفر من العام الثاني والثلاثين بعد المائة، وقد أنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم، وأخفى أخبارهم أربعين يوماً عن القادة والوجهاء.

وكان كلما سأل أبو الجهم[1] عن الإمام ومن معه أخبره أبو سلمة بأن وقت خروجه لم يحن بعد، لأن مدينة واسط لا تزال في أيدي ابن هبيرة ومن معه من رجال بني أمية. غير أن أبا الجهم استطاع أن يصل إلى مكان الإمام وأهل بيته، وعن طريق سابق الخوارزمي، وهو أحد خدام العباسيين، وعلى الفور استشار موسى بن كعب وخرجا وإياه في رجال من وجوه الشيعة العباسيين حتى دخلوا على أبي العباس، وبايعوه بالخلافة بعد أن تيقنوا أنه هو عبدالله بن محمد بن الحارثية، ولما عرف أبو سلمة ما تم لم يجد بُدًّا من التوجه إلى العباس ومبايعته.

وثم رواية ثانية في خروج بني العباس من الحميمة حتى دخولهم مدينة الكوفة، وفيها غير ما ذكر في سابقتها. أن عدد[2] المرافقين لأبي العباس قد كانوا أربعة عشر رجلاً وأنهم لما نزلوا في دومة الجندل، خوَّف داود بن علي ابن أخيه أبي العباس من الشخوص إلى الكوفة وقال له: يا أبا العباس كيف

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٣.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٢٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.
ابن الأثير: الكامل، جـ٤، ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

تأتي الكوفة وشيخ بني مروان مروان بن محمد بحران مطل على العراق في أهل الشام والجزيرة، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في حلبة العرب، غير أن هذا الخوف ما لبث أن تبدد عندما قام أبو الغنائم وقال: من أحب الحياة ذل، فارجع بنا معه نعش أعزاء أو نمت كراماً. فكان عيسى بن موسى إذا ذكر هذا الخروج قال: [1] إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون ما طلبنا لعظيم همهم، كبيرة أنفسهم، شديدة قلوبهم.

وقد ذكر صاحب تاريخ الأمم والملوك ما كان بين أبي العباس[2]، وبين أبي سلمة منذ دخول الأول إلى الكوفة حتى تمت البيعة له بطريقة شبيهة بما قبلها، وفيها من الزيادات أن الذي اهتدى إلى أبي العباس وأهل بيته هو أبو حميد فإنه خرج يريد الكناسة فلقي سابق الخوارزمي فسأله عن إبراهيم الإمام فأجابه بأنه قد قتله مروان، وأنه أوصى بالخلافة من بعده إلى أخيه أبي العباس.

إنه الآن في الكوفة فطلب أبو حميد من سابق أن يدخله على أبي العباس وأهل بيته فأبى حتى يأخذ له الإذن منهم، وفي اليوم التالي وبعد أن أخذ الإذن له أدخله على القوم، فسأله أيّكم الإمام، فأجاب داود بن علي: هذا إمامكم وخليفتكم وأشار إلى أبي العباس فبايعه أبو حميد وقبل يديه ورجليه، وقال: مرنا بأمرك، وعزاه في الإمام إبراهيم، وأتى إبراهيم

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٨.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٩ - ٤٣١.

ابن أبي سلمة حمام أعين، حتى دخل على أبي الجهم، وأنبأه بأنه مرسل إليه من الإمام، وقصَّ عليه ما كان من أبي سلمة، وكيف أنه منحه مائة دينار كان يريد أن يدفعها لصاحب الإبل التي نقلته وأهل بيته من الحميمة إلى الكوفة. ثم إن إبراهيم بن أبي سلمة أتى أبا الجهم وموسى بن كعب، وسلمهما رسالة من الإمام وأهل بيته، واجتمع وجوه الشيعة في منزل موسى بن كعب وتناقشوا في الدخول على أبي العباس في الكوفة ونفذوا ما اتفقوا عليه، وبايعوا أبا العباس بالخلافة وأرسل أبو الجهم إلى رفقائه في منزل الإمام يقول لهم: إن أتاكم أبو سلمة فبايع، وإلا فاضربوا عنقه.

وهكذا اتفقت كلمة وجوه الشيعة بمن فيهم وزير آل محمد على إمامة أبي العباس. ثم إن الرجل[1] وأهل بيته ساروا حتى أتوا قصر الإمارة فنزلوه وخرج أبو العباس على برذون له حتى أتى المسجد، فصلى بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر وأخذ البيعة من الناس وعاد إلى منزله، وترك أخاه أبا جعفر لإكمال أخذ البيعة له وقد سجل الطبري الخطبتين اللتين ألقى إحداهما أبو العباس، وألقى الثانية داود بن علي وهذه هي خطبة أبي العباس[2]: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهفه. وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، وجعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٤ - ٤٢٨.

(٢) الطبري: المصدر السابق، جـ٧، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتلى عليهم فقال - عزّ من قائل - فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] وقال: ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[2] وقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[3] وقال: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾[4] وقال: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾[5]. فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا، فضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبئية الضُلاَّل، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم بم ولما أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر، ومواساة في دينهم ودنياهم، وإخواناً على سرُر متقابلين في آخرتهم، فتح الله ذلك منةً، ومنحةً لمحمد - ﷺ - فلما قبضه الله إليه، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها،

---

(١) قرآن كريم: سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(٢) قرآن كريم: سورة الشورى، آية ٢٣.

(٣) قرآن كريم: سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٤) سورة الحشر: آية ٧.

(٥) سورة الأنفال: آية ٤١.

وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب ومروان، فابتزوها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منه بأيدينا، ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا، وولي نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث آتاكم الخيرُ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، وأنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، وآتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا، فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير».

وهذه خطبة عمه داود بن علي:[1] «الحمد لله شكراً شكراً؛ الذي أهلك عدونا، وصير إلينا ميراثنا من نبينا محمد - ﷺ - أيها الناس، الآن اقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وعاد السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم. أيها الناس، إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنثر لجنياً، ولا عقياناً ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً؛ وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا وما كرثنا من أموركم، وبهظنا من شؤونكم، ولقد كانت أموركم ترمضنا ونحن على فرشنا، ويشتد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم، وخرقهم بكم، واستذلهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم. لكم ذمة الله

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص ٤٢٦ - ٤٢٨.

تبارك وتعالى، وذمة رسوله - صلى الله عليه وآله - . وذمة العباس - رحمه الله - أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله - ﷺ - تباً تباً لبني حرب بن أمية وبني مروان ! آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثار، وظلموا الأنام وانتهكوا المحارم، وارتكبوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد، وسنَّتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربُل الأوزار، وتجلبب الآصار، مرحوا في أعنة المعاصي، وركضوا في ميادين الغي، جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمكر الله، فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث، ومزقوا كل ممزق، فبعداً للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان، وقد غره بالله الغرور، أرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه، وظنَّ عدو الله أن لن نقدر عليه، فنادى حزبه، وجمع مكايده، ورمى بكتائبه، فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله، من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله، ومحق ضلالته، وجعل دائرة السوء به، وأحيا شرفنا وعزنا ، ورد إلينا حقنا وإرثنا . أيها الناس إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً، إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة، أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام بعد أن استحضر من شدة الوعك، وادعو الله لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين، الشاب المتكهل المتمهل المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى، ومناهج التقوى » .

فعج الناس له بالدعاء . ثم قال :

« يا أهل الكوفة ، إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاح الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفلح بهم صحبتنا ، وأظهر بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم ، وبيض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان ، وعزّ الإسلام ومن عليكم بإمام منحه العدالة وأعطاه حسن الإيالة ، فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تخدعوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، وإن لكل أهل بيت مصراً ؛ وإنكم مصرُنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبدالله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم - عليه السلام - والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا » .

والخطبتان كلتاهما تتضمنان الثناء على أهل الكوفة وكيف أنهم قد وقفوا إلى جانب الحق حتى عزَّ وعارضوا الباطل حتى ذوى وذل ، وتوضحان كذلك ما لقيه العلويون على أيدي بني أمية وعمالهم من البغي والظلم حتى سلطهم الله تعالى عليهم . ليستردوا الحق المغصوب ، ويستعيدوا العدل المسلوب إلى آخر ما جرى على لسان أبي العباس ، وداود ابن علي .

وهكذا بلغت الدعوة العباسية هدفها ، وأدركت غايتها ، فأسقطت سلطان الأمويين ، وسلبت عرشهم ، وتربع بنو العباس على أريكة الخلافة في يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الآخر . ليتعاقبوا عليها خليفة إثر

خليفة، حتى العام السادس والخمسين بعد الستمائة من هجرة النبي - عليه الصلاة والسلام - .

وقد تعقب العباسيون بني أمية بعد أن تمت لهم البيعة ، فقتلوا منهم من قتلوا، وشردوا منهم من شردوا .

وقد كنت أريد أن أسلط الأضواء على ما جرى من ذلك في العراق، والشام، وغيرهما من شتى أقاليم دولة الإسلام، غير أني رأيت أن أكف القلم عن ذلك لشناعتة من جهة، وأنه قد وقع بعد قيام الدولة العباسية الذي جعلته هدفاً لهذا البحث من جهة ثانية .

خاتمة

والآن وقد تحقق الهدف، وأدركت الغاية، وانتهى الفصل الرابع والأخير من هذا البحث فقد أصبح لزاماً عليَّ أن أذيله بخاتمة ألخص فيها فصوله الأربعة أولاً، وأكشف النقاب عن النتائج والحقائق التي توصلت إليها من خلالها بعد ذلك.

فبالنسبة إلى النقطة الأولى أقرر أن العلائق بين الهاشميين والأمويين قد مرت عبر أربع مراحل كانت في الأولى منها علاقة تسابق وتنافس على مراتب المجد وآواج الشرف والسؤدد.

وكانت في الثانية علاقة حقد وبغض في البداية ثم إخلاص وحب بعد ذلك.

وكان للنبي (عليه الصلاة والسلام) الفضل الأول في إزالة ما كان بين البيتين الكبيرين من إحن، ومحو ما ران على قلوبهما من حقدٍ وبغض، وفي المرحلة الثالثة: كان بنو أمية يجدون في تعويض ما فاتهم من الفضل والشرف في القتال بين يدي النبي (عليه الصلاة والسلام) والجهاد تحت ألويته ورایاته. فلم تتسم العلاقة في هذه المرحلة بود ولا كره.

وفي المرحلة الرابعة والأخيرة: أخذت العلاقة بين الهاشميين والأمويين تتردى وتتوتر حتى انتهت بالصراع المسلح الذي انتهى باستشهاد علي (رضي الله عنه) وتنازل ولده الحسن عن الخلافة، وقيام الدولة الأموية تحت خلافة أمير ا لمؤمنين معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما).

وبعد الحديث عن العلاقة بين الهاشميين عامة، وبين الأمويين تناولت العلاقة بين العباسيين والعلويين من جهة، وبين العباسيين والأمويين من جهة ثانية.

وقد أثبت في هذا الحديث: أن العباسيين والعلويين قد كانت تربطهما وشائج التعاون والتضامن حتى نهاية خلافة علي وابنه الحسن من بعده. ثم تركوهم وحدهم بعد ذلك في ميدان الصراع، وكانوا كلما مسهم ضرٌّ، أو نزل بساحتهم خطب على أيدي الأمويين تظاهروا بالحزن عليهم، والرثاء لهم، من غير أن يقدموا إليهم عوناً، أو يشتركوا وإياهم في ثورة أو انتفاضة، وبالنسبة للعلاقة بين العباسيين وبني أمية.

فقد أثبت أنها كانت على ما يرام طوال حكم البيت السفياني وشطراً من حكم البيت المرواني.

ثم إنها أخذت طريقها إلى التوتر بعد ذلك، وقد ألمحت إلى العلل والأسباب التي من أجلها مرت عبر هاتين المرحلتين المختلفتين.

ووقفت بالفصل الأول عند بدأ الدعوة لبني العباس، وإذا كنت قد خصصت هذا الفصل لإماطة النقاب عن العلاقة بين الهاشميين والأمويين، وبين العباسيين والأمويين، فإنني قد خصصت الفصل الثاني (لمراكز الدعوة وجهازها السري).

وقد بدأته بمقدمة تناولت فيها استشراف العباسيين للخلافة ووسائلهم في اجتذاب الأتباع والأنصار إلى الدعوة، وذكرت أن القوم لم يستشرفوا للخلافة منذ وفاة النبي (عليه الصلاة والسلام) حتى نهاية خلافة الحسن بن

علي (رضي الله عنهما) واستدللت على ذلك بأدلة :

أحـدها : أن الشـروط التي كـان يجب توافـرها في الخليـفـة لم تكن موجودة في العباس (رضي الله عنه) .

وثانيـها : أن العبـاس نفسه قد قدم عليه علياً في طلب الخلافة وظل كذلك حتى غادر هذه الدنيا في العام المكمل للثلاثين للهجرة .

والثـالث : أن أبناءه من بعـده قـد نسجـوا على هذا المنوال نفسـه ، فلم ينازعوا فيها علياً ، ولم ينازعوا ولده الحسن من بعده .

وفي العهـد الأموي وعلى الرغم من أن العلاقة قد كانت على ما يرام بين الأمويين والعباسيين ، فإنهم قد استشرفوا للخلافة ، وراحوا يعملون للوصول إليها ولكن في خفاء وحذر .

واستـدللت على هذا بالمحـاورات التي دارت بشـأنها بين عـبـدالله بن عباس وبين معاوية ، وتحديدهم لهلاك ولده يزيد موعداً للعمل للوصـول إليها .

وانتـقلت إلى الوسـائل التي توصلوا بهـا لإدرك مـا أرادوا من هدف وبلوغ ما تطلعوا إليه من غاية ، وذكرت منها ثلاثاً وهي :

١- اجتذاب الأتباع والأنصار بما كانوا يروون من الأحاديث المنسوبة إلى النبي عليه الصلاة والسلام .
٢- وادعاء أن النبي (عليه الصلاة والسلام) قد خصهم بعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة .

٣- وأخيراً وليس آخراً الثناء الذي كانوا يوجهونه إلى أقطاب الشيعة عامة، وإلى المختار بن أبي عبيد على سبيل الخصوص.

وقد ناقشت هذه الوسائل، وبينت ما في بعضها من المآخذ، وبرأت الأئمة العباسيين الأول مما رأيته لا يتفق ومبادئ الدين منها. وبعد هذه المقدمة انتقلت إلى الموضوع الأساسي لهذا الفصل وقسمته إلى فقرتين:

إحداهما: مراكز الدعوة.

والثانية: جهازها السري.

وقد ذكرت في بدء حديثي حول الفقرة الأولى أن الخطة التي وضعها العباسيون للدعوة قد كانت بالغة الدقة، تشهد لهم بالعمق السياسي والخبرة التي لا حد لها في إقامة الدولة، وإنشاء الممالك، ثم ذكرت مراكز الدعوة الأربعة وهي:

الحميمة - والكوفة - والحجاز - وخراسان.

وبعد التعريف بكل مركز من هذه المراكز ذكرت الأسباب التي من أجلها فضلها العباسيون على غيرها، وآثروها على سواها، ووقفت كثيراً حيال المركز الرابع وهو خراسان لأن الدعوة العباسية قد نشأت فيها، ونمت واستوت على سوقها فوق ترابها، وانطلقت حتى أقامت الدولة العباسية منها.

وانتقلت إلى الفقرة الثالثة من هذا الفصل وهي (الجهاز السري). وذكرت أن العباسيين لم يكونوا أقل خبرة، ولا أعمق تجربة في تنظيمه

واختيار رجاله منه في اختيار مراكز الدعوة.

وذكرت أن هذا الجهاز قد كان قائماً على دعائم أربعة تماماً كما كانت مراكز الدعوة وهذه الدعائم هي:

١- الإمام.
٢- ونائباه في العراق وخراسان.
٣- النقباء الاثنا عشر.
٤- الدعاة.

وقد أمطت النقاب عن أن الذين تولوا منصب الإمامة كانوا ثلاثة وهم: محمد بن علي، وولداه إبراهيم، وأبو العباس عبدالله السفاح، وبعد أن حددت المهمة الملقاة على كاهل الإمام، أوضحت الظروف التي كانت تحيط الدور الذي اضطلع به.

وقد ناقشت الأسباب التي من أجلها تولى محمد بن علي أعباء الإمامة مع وجود أبيه.

وبالنسبة للنواب في العراق ذكرت أنهم كانوا ثلاثة كذلك وهم:

١- ميسرة النبال.
٢- بكير بن ماهان.
٣- أبو سلمة الخلال.

وقارنت بين الدور الذي اضطلع به كل منهم، والمدة التي لبثها في وظيفته، والأسباب التي من أجلها لم يع التاريخ عن كلٍ من ميسرة وبكير

غير القليل، ولم أنس أن أميط النقاب عن الأسباب التي من أجلها انحرف أبو سلمة عن العباسيين، وأراد إخراج الإمامة عنهم إلى العلويين. وذكرت أن مرجع هذا إلى سببين.

أحدهما: أنه كان من الكوفة وأهلها هم شيعة لعلي.

والثاني: أنه لم يكن على يقين من أن إبراهيم الإمام قد عهد بالأمر من بعده إلى أخيه السفاح.

وبالنسبة للنواب في خراسان فقد بينت أنهم كانوا ثلاثة أيضاً:

١- زياد أبو محمد.
٢- وكثير الداعي.
٣- وعمار بن يزيد.

وقد عرفت بكل واحد من هؤلاء الثلاثة، وكشفت الغطاء عن نشاطه وأسباب تعيينه.

وبالنسبة للثالث والأخير فقد وافقت أبا جعفر بن جرير الطبري على العام الذي قتل فيه، وناقشت أقوال المؤرخين في سنة توليته.

ووقفت وقفة متأنية حيال الدور الذي اضطلع به، وناقشت يوليوس فلهوزن فيما يدعيه من أن العباسيين قد كانوا راضين عن انحرافه، وأجد أن العامة هم الذين أطلقوا عليه خداشاً، وليس هو الذي أطلق هذا الاسم على نفسه، وبرأت ساحة العباسيين من الرضا عن كفره وانحرافه.

وبعد الحديث عن الأئمة ونوابهم في كلٍ من العراق وخراسان،

تناولت النقباء الاثني عشر، فذكرت أسماءهم وأنسابهم، وأجبت عن التضارب في روايتي الطبري في ذلك، وبينت أنهم لم يكونوا من الموالي وإنما كان ثلثهم منهم وحسب، أما الثلثان الآخران فقد كانوا جميعاً من العرب.

وبالنسبة للدعاة فقد بينت أن المصادر التي بين يدي لم تذكر أسماءهم. وأوضحت السبب في ذلك حسب تصوري، وناقشت القائلين بأن هذا التنظيم قد كان يهودياً، وأقمت الدليل على أنه كان عربياً خالصاً، بل إن بعض جوانبه قد استمدت من القرآن الكريم نفسه.

وختمت الفصل بإلماعة أنهيتها بالإشادة بالخطة التي وضعها العباسيون للدعوة، وأنها كانت غاية في الإتقان والإحكام.

وبعد تناولي للعلاقة بين الهاشميين والأمويين، وإماطة النقاب عن الخطة التي وضعها بنو العباس للدعوة، وحديثي حول مراكزها وجهازها السري.

عقدت الفصل الثالث للحديث عن (المرحلتين السرية والجهرية) اللتين مرت بهما الدعوة.

وقد بدأت هذا الفصل بالسؤال عن الوقت الذي بدأ العباسيون يخرجون فيه خطتهم من دائرة التفكير والنظر، إلى دنيا الحقيقة والواقع، فبينت أن العباسيين قد حددوا لذلك ثلاثة أوقات وهي: هلاك يزيد، وتمام المائة، وانتقاض البربر في أفريقيا. وذكرت الأسباب التي من أجلها آثر العباسيون العام المكمل للمائة على غيره وهذه الأسباب هي:

خلافة عمر بن عبدالعزيز، وورود الأحاديث الدالة على أن الله تعالى يبعث على رأس كل قرن من يجدد للأمة أمر دينها، وأخيراً هذا الصراع القبلي الذي أخذت ناره تتلظى في خراسان.

وقد ركزت الأضواء الكثيرة على هذا السبب بالذات لما كان له من الأثر والخطر، لا في بدء الدعوة وحسب، ولكن في ذلك، وفي تهيئة الظروف لظهور الشيعة، وانتصارهم على الأمويين في هذا الإقليم. وانتقلت إلى الروايات الأربعة التي أوردها الطبري حول بدء الدعوة، فعرضت كل واحدة منها على حدة، وقارنت بعضها ببعض، ورفعت التناقض بينها ما استطعت.

وفي أثناء ذلك أجبت عن عدد من الأسئلة منها: من الذي اختار النقباء، وإلى من كانت الدعوة إلى الخلافة أإلى الرضا من أهل البيت عامة، أم إلى العباسيين على سبيل التحديد؟ وهل كان للدعاة منهج يلتزمون ويسيرون عليه، وما هو؟

وقد ناقشت أقوال المؤرخين حول كل نقطة من هذه النقاط وغيرها، ورجحت بعضها على بعض معتمدة على حجج وأدلة ذكرتها في مكانها من البحث. ثم مضيت فأوضحت الزي الذي كان يرتديه الدعاة، والوسائل التي كانوا يحتالون بها على الولاة الأمويين حتى لا يذاع أمرهم ولا ينكشف سرهم.

وأمطت النقاب عن العلل والأسباب التي من أجلها كان الدعاة يدعون إلى الرضا من أهل البيت حيناً، وإلى العباسيين حيناً آخر، وكيف أن تعيين

النواب في خراسان قد كان يتم من الإمام مباشرة مرة، ومن نائبه على العراق مرة أخرى.

وبعد هذا العرض لأحوال الدعوة والدعاة في الأعوام العشرين الأول أحسست أن الضرورة تقتضي الحديث حول العلاقة بين الإمام وبين الدعاة لاسيما وأن خداشاً قد أحدث في الدعوة ما أحدث، وبينت أن هذه العلاقة قد كانت على ما يرام حتى جاء خداش الذي لم يرض الإمام عن مسلكه، وكيف أنه قد أظهر عدم رضاه هذا للشيعة بوسائل مختلفة ذكرتها في مكانها من البحث.

وانتقلت إلى أبي مسلم فناقشت الأسباب التي من أجلها أسند الإمام إليه شؤون الدعوة في خراسان.

وناقشت كذلك اختلاف المؤرخين في اسمه، ونسبه، والمكان الذي ولد فيه والطريقة التي تعرف الإمام بها عليه.

وأثبت أن أبا مسلم ليس هو اسمه الحقيقي وإنما هو اسمه الحركي، ورجحت أنه من أصل عربي، وذكرت الأدلة المثبتة لذلك، وأنكرت أن يكون الإمام قد تعرف عليه من صفاته التي وجدها في كتابه الذي قد حوى على ما كان وما سيكون، وأقمت الدليل على أن هذا الكتاب لاوجود له، ثم بينت كيف أن الإمام لم يسند شؤون الدعوة إلى أبي مسلم بادئ ذي بدء؛ لأنه كان غلاماً حدثاً، وإنما كان يرسله إلى خراسان في حوائجه حتى إذا أحسّ منه القدرة على المهمة التي سيضعها على عاتقه عهد بها إليه.

وقد كان ذلك في العام السابع والعشرين بعد المائة.

وقد بينت كيف أساء النقباء استقبال أبي مسلم ولاسيما ابن كثير، وكيف أعادهم خالد بن إبراهيم إلى الجادة، وكيف أن الإمام قد اتخذ من الاحتياطات ما يمكن الرجل من البقاء في خراسان، والاطلاع فيها بالدور الذي أسند إليه.

ولم يفتني تسجيل وصية الإمام إليه، فقد أثبتها في البحث، وعلقت عليها، ووقفت وقفة متأنية حيال ما جاء فيها من العرب، وبينت أنه قد كان من الإمام على سبيل المبالغة، وإلا فإنه هو نفسه قد اعتمد على العرب، وأسند الكثير من المناصب القيادية إليهم، بل إن الدعوة في خراسان قد بدأت في أرض خزاعة وهي إحدى قبائل العرب.

ولم يفتني ما أخبر به الإمام من أن أبا مسلم رجل من أهل البيت، وأنه هو المسؤول الأول عن الدعوة، وأن سليمان بن كثير هو الرجل الثاني بعده.

وبالنسبة للمنهج الذي التزمه أبو مسلم في تدبير شؤون الدعوة في خراسان فقد أبرزته وبينت أن الرجل قد استعان على استقطاب الموالي إليه بأمرين:

أحدهما: إثارة حفائظهم على الأمويين.

والثاني: استدرار عطفهم على آل بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) بما أصابهم خلال الحكمين السفياني، والمرواني.

وانتقلت إلى ما وقع في خراسان في العامين السابع والعشرين والثامن

والعشرين حتى صدر الأمر إليه وإلى ابن كثير بالجهر بالدعوة، وقد اعتمدت في تسجيلي لهذه الأحداث على رواية المدائني؛ لأنها هي الأكثر تفصيلاً والأوضح عبارة.

وقد ناقشت أثناء عرضي لهذه الروايات السبب الذي من أجله بايع القوم أبا مسلم مع أنهم قد أمِروا بطاعته من قبل الإمام.

وناقشت كذلك السبب الذي من أجله أسند الإمام إلى قحطبة أمر الحرب، ولم يجمع لأبي مسلم بينه وبين السياسة. ولأن روايات الطبري الثلاث وهي رواية أبي الخطاب، ورواية المدائني ورواية الذين لم تذكر أسماؤهم قد تناقضت تناقضاً كبيراً بعد صدور أمر الإمام بالجهر بالدعوة، فقد بينت هذا التناقض، وحاولت إزالته ما استطعت، وبذلت في سبيل ذلك من الجهد ما يراه القارئ واضحاً وهو يطالع هذه الروايات في مكانها من البحث.

وبعد هذا الفصل الذي عقدته للدعوة في مرحلتيها السرية والجهرية، عقدت الفصل الرابع والأخير وقسمته إلى فقرتين.

إحداهما: مرحلة الفتح.

والثانية: مرحلة قيام الدولة.

وقد بدأت الفقرة الأولى بالإجراءات التي اتخذها أبو مسلم بعد أن أظهر الدعوة، ورفع رايتها الظل والسحاب، ثم انتقلت إلى الحركة الأولى التي كانت بين الشيعة وبين نصر بن سيار، فبينت أسبابها ونتائجها، والظروف المحيطة بها.

وذكرت السبب الذي من أجله لم يحدد الطبري تاريخ كتاب أبي مسلم إلى نصر الذي سبق هذه المعركة مباشرة.

واستطعت أن أهتدي إليه مما جاء في رواية أبي الخطاب بعد أن فسَّرت ظهور أبي مسلم في خراسان بدخوله إليها، وأقمت الدليل على ذلك.

ومضيت إلى العصبية القبلية التي كانت مشتعلة بين ابن جديع الكرماني، وشيبان الحروري من جهة، وبين نصر بن سيار من جهة أخرى.

وبينت أن هذا الأخير لما أدرك خطر أبي مسلم حاول الدخول في صلح مع عدويه ابن جديع وشيبان، وأن أبا مسلم قد عمل من جانبه على إخفاق هذه الخطة.

وكشفت النقاب عن الخطوات الثلاث التي بنى سياسته عليها. والتي كانت أولاها: بذر الخلاف بين نصر والكرماني، وكانت الثانية توسيع هذا الخلاف حتى اشتعل وتضرم.

أما الثالثة: فقد كانت إثارة جانب اليمانيين على جانب المضريين.

ولم أنس أن أبين خطة نصر تجاه هذه السياسة، وكيف أنه طلب العون من الخليفة، ثمَّ منْ واليه على العراق وهو عمرو بن هبيرة، وذكرت الأسباب التي من أجلها لم يتلق المساعدة من كل من الرجلين في مكانها من البحث.

وكان عليَّ بعد ذلك أن أتابع الأحداث حتى فتح أبو مسلم مرو، ووضع يده على قصر الإمارة فيها.

ولأن رواة الطبري قد اختلفوا في تسجيلهم لهذه الأحداث، فقد عرضت - وفي إيجاز - الطرق الثلاثة، أو الروايات التي اعتمد عليها هذا المؤرخ الكبير منذ اللحظة التي انتقل فيها أبو مسلم إلى الماخوان حتى تم له فتح مرو.

وعالجت ما بين هذه الروايات من التناقض، وشرحت الأسباب التي من أجلها لم يدخل نصر بن سيار في طاعة أبي مسلم بعد أن عرض عليه الأمان، وآثر الهرب.

وأرجأت الحديث عن ابن سيار قليلاً، حتى أسلط الأضواء على تخلص أبي مسلم من شيبان الحروري، وعلي وعثمان ابني جديع بن الكرماني.

وكشفت النقاب عن السياسة التي سلكها لتحقيق هذا الهدف، وتناولت بعد ذلك اجتماع العرب والعجم عليه، وتمكنه هو وقائده أبو داود من درء هذا الخطر، ثم عدت إلى نصر لأسلط الأضواء على مصيره الذي آل إليه.

فتحدثت عن المعركة التي كانت بين قحطبة وبين ابن نباتة قائد الجيش الذي بعثه ابن هبيرة لنجدة نصر، وكشفت النقاب عن العلل والأسباب التي مكنت قحطبة من هزيمة ابن نباتة وقتله في مكانها من البحث. ثم ذكرت الخلاف في مصير نصر، وقبل أن أتجاوزه إلى غيره أنصفته تاريخياً، وذكرت أنه كان أحد عباقرة الحرب والسياسة غير أن الظروف المحيطة به كانت أكبر منه.

ومضيت إلى نهاوند لأسلط الأضواء على فتحها، غير أنني لم أكد أمضي في هذا الحديث حتى رأيت أن أتحدث أولاً عن المعركة الكبيرة التي كانت بين قحطبة وبين ابن ضبارة، وهو القائد الذي أرسله يزيد بن عمر بن هبيرة لنجدة ابن سيار بعد أن بلغته أنباء قتل ابن نباتة، ففصلت الظروف التي نشبت أثناءها هذه المعركة، وكيف قتل ابن ضبارة، وكيف انتصر قحطبة مع أن جيش عدوه قد كان يربو على خمسين ألفاً.

وعدت إلى نهاوند، وعرضت الروايات الثلاثة التي تناولت فتحها، وكشفت عن الأسباب التي من أجلها قتل قحطبة الخرسانيين، وأبقى على الشاميين في مكانها من البحث.

ومضيت إلى شهرزور، فسلَّطت الأضواء على المعركة التي اشتعلت فيها بين الأمويين وبين جنود أبي مسلم، فأوضحت أسبابها ونتائجها في مكانها من البحث.

ثم تابعت السير نحو الكوفة، وقد بدأت الحديث في ذلك بذكر السبب الذي من أجله لم يلتق قحطبة ومروان عند الزاب، وآثر التوجه نحو العراق، وقبل تناولي لفتح الكوفة، وقفتُ متأنية حيال ثلاث قضايا:

إحداها: مناقشة الخطة التي عرضها حوثرة وبعض أهل الشام على ابن هبيرة، وبينت أن الصواب قد كان إلى جانب حوثرة، وأوضحت الأسباب التي من أجلها رجحت هذا الرأي.

والثانية: هي مقتل قحطبة، فقد ذكرت الروايات الأربعة التي

سجلت هذا الحدث، ورجحت الأخيرة منها، ثم تساءلت لماذا لم يكن أبو مسلم هو الذي قتل قحطبة؟

وأوضحت حججي في ذلك، وأخيراً تناولت قضية من خلف قحطبة على قيادة الجند، ورجحت أن يكون هو الحسن وليس حُميد.

وذكرت الحجج التي أقنعتني بهذا الاتجاه. وبعد هذا كله تناولت فتح الكوفة، وذكرت أن الطبري قد اعتمد في تسجيله لهذا الفتح على روايتين. ولأن التناقض قد كان واضحاً بينهما فقد رأيت أن ألخص كلاً منهما، وانتهيت إلى أن الحسن قد سلم الأمر إلى أبي سلمة كما كانت وصية أبيه إليه.

وأخيراً توجهت إلى التأريخ للأحداث التي كانت بين فتح مدينة الكوفة، وبين بيعة أبي العباس السفاح فيها، وتناولت في حديثي هذا نهاية إبراهيم الإمام، ففصلت الروايات الثلاث التي سجلها صاحب تاريخ الأمم والملوك حول هذا الموضوع، وانتهيت إلى أن هذا الإمام قد اغتيل على يدي مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وأنه قبل أن يفارق هذه الدنيا كان قد عهد بالإمامة من بعده إلى أخيه أبي العباس عبدالله بن علي.

وانتقلت إلى وصول عبدالله هذا إلى الكوفة، وبسطت الروايتين اللتين سجلهما الطبري في ذلك، وأوضحت ما بينهما من التناقض، وفي أثناء ذلك كشفت الغطاء عن الدور الذي قام به أبو سلمة لصرف الإمامة عن أبي العباس عبدالله بن محمد إلى أحد أبناء عمه علي، وكيف أن أبا الجهم

ورفاقه من وجوه الشيعة قد أحبطوا هذه الخطة، وتمت البيعة لمن أراده الإمام إبراهيم.

ولما كان الهدف من هذا البحث هو: سقوط دولة بني أمية ومبايعة أبي العباس بالخلافة، فقد أوقفت قلمي عند هذا الحد واعتذرت عما سواه، ومن أهمه ما صبه العباسيون على بني أمية من أنواع والانتقام.

وإن كنت قد ألمعت إلى أن العباسين قد بالغوا في عقابهم للأمويين، وبعد فهذا تلخيص موجز للفصول الأربعة التي احتواها هذا البحث.

أما النقطة الثانية في هذه الخاتمة وهي النتائج التي توصل إليها هذا البحث فهي كثيرة أكتفي منها بما يأتي:

١- أثبت البحث أن العلاقة بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية لم تكن علاقة بغض وعداوة، وإنما كانت قائمة على التنافس والتسابق في سبيل الشرف والمجد.

٢- وأنها لم تأخذ طريقها إلى الشنآن إلا بعد هبوط الوحي على النبي (عليه الصلاة والسلام) وأن الدور الذي اضطلع به - صلوات الله وسلامه عليه - في إزالة هذا البغض قد كان من الظهور والوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل.

٣- وقد توصل البحث كذلك، إلى أن وشائج التعاون قد كانت تربط ما بين العباسيين والعلويين حتى نهاية خلافة أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه). وأنهم لم يتخلوا عنهم إلا منذ قيام الحكم الأموي.

٤- وبالنسبة للعباسيين والأمويين، فإن العلاقة بينهما قد كانت على ما

يرام في الظاهر طوال الحكم السفياني، وشطراً من الحكم المرواني، ثم أخذت طريقها إلى التوتر، وقد ذكرت الأسباب التي أدت إلى هذا التطور.

٥- وبالنسبة لاستشراف العباسيين للخلافة، فقد توصل البحث إلى أن ذلك لم يكن إلا بعد وفاة الحسن بن علي (رضي الله عنهما).

٦- وبالنسبة للخطة التي وضعها العباسيون للدعوة، فقد سلط البحث أضواء مكثفة على كل من مراكز الدعوة، وجهازها السري، وأماط النقاب عن التناسق بين هاتين النقطتين، فمراكز الدعوة كانت أربعة، وأدوات الجهاز السري كانت أربعة كذلك.

والأئمة الذين تعاقبوا على الدعوة منذ بدايتها في السنة المكملة للمائة حتى السنة السابعة والعشرين بعد المائة قد كانوا ثلاثة، والأمر كذلك بالنسبة للنواب في كل من العراق وخراسان. فقد كان في كل منهما ثلاثة أيضاً. وانتهى البحث في تناوله لهاتين النقطتين إلى: أن الخطة التي وضعها العباسيون كانت بالغة الدقة، تشهد لهم بالعمق السياسي والقدرة على إقامة الدول وبناء الممالك.

٧- وبالنسبة لما أثير حول النائب الثالث للعباسيين في خراسان، وهو عمار ابن يزيد، فقد ناقشت أقوال يوليوس فلهورزن فيما يدعيه من أن العباسيين كانوا راضين عن كفره وانحرافه، وبرأت ساحة أئمتهم من هذا الاتهام.

٨- وناقشت كذلك ما أثير حول تنظيم العباسيين للنقباء والدعاة وأنه كان تنظيماً يهودياً، ولم أكتفِ برد هذا الاتهام وإنما أثبت أن هذا التنظيم قد

كان مأخوذاً من الكتاب والسنة.

٩- وقد تضمن البحث ذكر الأوقات الثلاثة التي اختارها العباسيون ليكون أحدها بداية للسير في دعوتهم. وذكرت أسباب هذا الاختيار بشكل عام، ثم كشفت - ولأول مرة - عن العلل التي من أجلها بدأت الدعوة في العام المكمل للمائة.

١٠- وقد كشف البحث عن الأحداث التي كانت قائمة في خراسان أثناء بدء الدعوة وأهمها الصراع القبلي الذي أخذت ناره تشتعل في هذا الإقليم، ومن كان وراءَه من الأمراء والعمال.

١١- وبالنسبة لتعيين الدعاة والنقباء، فقد أثبت البحث أنه كان يتم من قبل الإمام مرة، ومن قبل النواب مرة أخرى والأمر كذلك بالنسبة إلى الذين كان يدعى لهم، أهم العباسيون أم الرضا من أهل البيت؟ فقد ناقش البحث أقوال المؤرخين في ذلك وانتهى إلى أن الدعوة قد كانت للرضا من أهل البيت، وأن النواب والنقباء وحدهم الذين كانوا يعرفون أن المقصود هم بنو العباس.

١٢- وقد ناقش البحث الروايات التي تناولت شخص أبي مسلم ونسبه وانتهى إلى أن هذا الاسم لم يكن هو الاسم الحقيقي، وإنما كان اسماً حركياً. وأنه كان من العرب، وأن الكتاب الذي ادعى بعض الرواة أن الإمام قد عرف منه أوصاف هذا الرجل وسمته لا أصل له.

١٣- وبالنسبة لما نقل عن الأئمة من عداوتهم للعرب، وتوصيتهم لأبي مسلم بقتل كل من شك فيه منهم، فقد ناقش البحث هذه القضية وانتهى إلى أن أكثر هذه الروايات مبالغ فيها، وأن الدعوة قد اعتمدت

في سيرها على هذا العنصر، فالإمام قد كان عربياً، والنقباء الاثنا عشر كان ثمانية منهم عرب، والرجل الذي قاد الجيوش من خراسان حتى قارب الكوفة كان عربياً، بل إن الدعوة في خراسان قد نشأت ونمت في بلاد خزاعة وهي أرض عربية.

١٤- وقد سلط البحث الأضواء على السياسة التي سار عليها أبو مسلم في خراسان تجاه القبائل العربية، وكشف عن الدعائم الثلاثة التي ارتكزت عليها وهي: بذر الخلاف والشقاق بين القبائل المتصارعة، ثم توسيع هذا الخلاف وتعميقه، وأخيراً إيثار فريق منهم على فريق.

١٥- وبالنسبة للخطة التي وضعها أبو مسلم للتخلص من شيبان الحروري، وعلي وعثمان ابني جديع الكرماني، فقد درسها البحث دراسة متأنية، كشفت عن دهاء الرجل وحنك سياسته التي لا حد لها.

١٦- وقد حقق البحث مقتل قحطبة بن شبيب، وأورد الروايات التي سجلت هذا الحدث، ومنها ما يدين أبا مسلم، ويكاد يتهمه بأنه هو القاتل، ولأن أدلة النفي والإثبات قد تساوت عندي في هذه القضية فإنني قد كففت قلمي عن ترجيح أحد الطرفين على الآخر، وتركت هذه القضية لمن يأتي من الباحثين بعدي.

١٧- وقد ناقش البحث أقوال المؤرخين حول الرجل الذي تولى قيادة الجند بعد قحطبة، وهل هو ابنه الحسن، أم ابنه حُميد، وانتهى إلى أنه كان هو الأول دون الثاني.

١٨- وبالنسبة لمبايعة ابن العباس عبدالله بن محمد فقد بسط البحث

الروايات التي تناولت هذه القضية، وكشف النقاب عن الخطة التي رسمها أبو سلمة الخلال لإخراج الإمامة من العباسيين إلى العلويين، والأسباب التي من أجلها لم يتم الأمر كما كان يريد.

ويعد

فقد كرست لهذا البحث جهدي، ووقفت عليه وقتي، وواصلت من أجله الليل بالنهار قارئة وكاتبة لم أضنَّ في سبيله بشيء، مستمرئة التعب مستسهلة الصعب، مقدمة إياه على كل ما سواه، لا أقصد من ذلك إلا وجه الله، ولا أبتغي غير أجره ورضاه، فإن أكن قد بلغت الهدف، وحققت الغاية فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كنت قد تجاوزت الجادة وانحرفت عن القصد، فحسبي أنني قد جاهدت، والخير أردت، وعلى الله اعتمدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قائمة بالمصادر والمراجع

١- القـــرآن الكريم

أولا: المصـــــادر:

أ - المخـــطـــوطـــات

٢- ابـن أبـي الـدم : (شـهـاب الدين إبراهيم بن عـبـد الله بن أبي الدم)، المتوفى سنة ٦٤٢هـ
« التاريخ المظفري »
رقم ٦٠٤، تاريخ، معهد المخطوطات

٣- المـقـــــريـزي : (تقي الدين أبابكر المقريزي)، المتوفى سنة ١٤٤٢م
« منتخب التذكرة في التاريخ »
رقم ١٢٥٦، تاريخ، مـعـهـد المخطوطات بجـامـعـة الدول العربية.

ب - المطبـــوعـــات

٤- ابـن الأثيـــــر : (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الملقب بعز الدين)، المتوفى سنة ٦٣٠هـ
« الكامل في التاريخ »، ٩ أجزاء.

دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٥ - البخاري: (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري) المتوفى سنة ٢٥٦هـ
« صحيح البخاري »

٦ - البرّيّ: (محمد بن أبي بكر عبدالله بن موسى الأنصاري التلمساني الشهير بالبري)
« الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة »، جزأين.
تحقيق د. محمد التنوخي، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧ - البسوي: (أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي)، المتوفى سنة ٢٧٧هـ
« المعرفة والتاريخ »، ٣ أجزاء.
رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق د. أكرم ضياء العمري: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٨ - البغدادي: (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي)، المتوفى سنة ٧٣٩هـ

« مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع »، ٣ أجزاء.
تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٩ - البلاذري: (أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري)، المتوفى سنة ٢٧٩هـ
« أنساب الأشراف »
تحقيق: د. إحسان عباس، فرانتش شتانير بفيسبادن، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

١٠ - البلاذري: « فتوح البلدان »
مراجعة وتعليق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

١١ - ابن الجوزي: (جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي)، المتوفى سنة ٥٩٧هـ.
« صفة الصفوة »، ٤ أجزاء.
حققه: محمود فاخوري، خرج أحاديثه: محمد رواس قلعجي، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٢ - ابن حجر العسقلاني : (أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر)، المتوفى سنة ٨٥٢هـ.
« الإصابة في تمييز الصحابة »، ٤ أجزاء.
دار الكتاب العربي، بيروت.

١٣ - ابن حزم الأندلسي : (أبو محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي)، المتوفى سنة ٤٥٦هـ
« جمهرة أنساب العرب »، جزأين.
تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

١٤ - ابن حزم الأندلسي : « الفصل في الملل والأهواء والنحل »
تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة، عكاظ، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

١٥ - أبو حنيفة الدينوري : (أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري)، المتوفى سنة ٢٨٢هـ
« الأخبار الطوال »
تحقيق: عبدالمنعم عامر، مراجعه: د. جمال الدين الشيال، دار المسيرة، بيروت.

١٦ - ابن حـــوقل : (أبو القاسم بن حوقل النصيبي)
« صورة الأرض »
مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١٧ - الخـطـيـب البـغـدادي : (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي)، المتوفى سنة ٤٦٣هـ.
« تاريخ بغداد »، ١٢ جزءاً.
دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٨ - ابـن خـلـدون : (عـبـد الرحـمن بـن مـحـمـد بن خلدون الحـضـرمي المغربي)، المتوفى سنة ٨٠٨هـ.
« تاريخ ابن خلدون» المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء.
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٩ - ابن خـلـكـان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان)، المتوفى سنة ٦٨١هـ.
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان »، ٨ أجزاء.
تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٢٠ - خليفة بن خياط : (أبو عمرو خليفة بن شباب العصفري)، المتوفى سنة ٢٤٠هـ.
« تاريخ خليفة بن خياط ».
تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق، بيروت، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢١ - " " " " " « الطبقات »
رواية، أبي عمران موسى بن كعب التستري، تحقيق وتقديم: د. أكرم ضياء العمري.
دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٢ - الدميري : (كمال الدين الدميري)
« حياة الحيوان الكبرى »، جزأين.
دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٣ - الرازي : (محمد بن أبي عبد القادر)
« مختار الصحاح »
المكتبة الأموية، بيروت، طبعة حديثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٥٠م.

٢٤ - الزبير بن بكار : (أبو عبدالله الزبير بن بكار)، المتوفى سنة ٢٥٦هـ.
« جمهرة نسب قريش وأخبارها ».
تحقيق: محمود شاكر، مكتبة خياط، بيروت، لبنان.

٢٥ - ابن سعد : (محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكنى بأبي عبدالله)، المتوفى سنة ٢٣٠هـ.
« الطبقات الكبرى »، ٨ أجزاء.
دار صادر، بيروت.

٢٦ - السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي)، المتوفى ٩١١هـ.
« تاريخ الخلفاء »
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر، الفجالة.

٢٧ - الشهرستاني : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني)، المتوفى سنة ٥٤٨هـ
« الملل والنحلل »، جزأين.
تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٢٨ - الصفدي : (صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي)
« الوافي بالوفيات »
باعتناء هلموت ريتر، جهان، طهران، إيران، الطبعة الثانية.

٢٩ - الطبري : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري)، المتوفى سنة ٣١٠هـ
« تاريخ الأمم والملوك »، ١٣ جزءاً.
تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان.

٣٠ - الطبري : « مختصر تفسير الطبري » المسمى، « جامع البيان عن تأويل القرآن »، اختصار وتحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣١ - ابن طباطبا : (محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا) « الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » دار بيروت، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٣٢ - ابن عبد البر : (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

المالكي)، المتوفى سنة ٤٦٣هـ
« الاستيعاب في أسماء الأصحاب »، ٤ أجزاء.
دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٣ - عبد القاهر البغدادي: (عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني التميمي)
« الفرق بين الفرق »
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت، لبنان.

٣٤ - ابن عبد ربه: (أبو عمر أحمد محمد بن عبد ربه الأندلسي)، المتوفى سنة ٣٢٨هـ
« العقد الفريد »، ٧ أجزاء
تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٥ - ابن العمراني: « الأنباء في تاريخ الخلفاء ».
تحقيق: د. قاسم السامرائي، دار القلم، طبعة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٣٦ - أبو الفداء: (عماد الدين إسماعيل أبي الفداء)، المتوفى سنة ٧٣٢هـ

« المختصر في أخبار البشر »، ٤ أجزاء.
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٣٧ - أبو الفرج الأصفهاني : (على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان القرشي الأموي)، المتوفى سنة ٣٥٦هـ
« كتاب الأغاني » ٢٥ جزءاً.
تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، طبعة ١٩٧٥م.

٣٨ - ،، ،، ،، ،، : « مقاتل الطالبيين »
تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

٣٩ - الفيروز أبادي : (أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن علي أبو يوسف الشيرازي)، المتوفى سنة ٨١٧هـ.
« ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة »، ٤ أجزاء.
رتبه: الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠ - ابن قتيبة الدينوري : (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري)، المتوفى سنة ٢٧٦هـ
« الإمامة والسياسة »، جزأين.
تحقيق: د. طه محمد الزين، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع القاهرة.

٤١ - ابن قتيبة الدينوري: « المعارف »
تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة

٤٢ - الكتبي : (محمد بن شاكر الكتبي)، المتوفى سنة ٧٩٤هـ/
« فوات الوفيات والذيل عليها »، ٥ أجزاء.
تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

٤٣ - ابن كثير : (أبو الفداء الحافظ ابن كثير)، المتوفى سنة ٧٧٤هـ
« البداية والنهاية »، ١٤ جزءاً.

٤٤ - ابن كثير : مكتبة الرياض الحديثة، دارالفكر، بيروت.
« تفسير القرآن الكريم »، ٤ أجزاء.
دار المعرفة، بيروت، لبنان، طبعة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤٥ - المسعودي : (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي)، المتوفى سنة ٣٤٦هـ
« التنبيه والإشراف »
دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

٤٦ - " " " " : « مروج الذهب ومعادن الجوهر »، ٤ أجزاء
تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٤٧ - المقريزي : « النزاع والتخاصم »

٤٨ - الهاشمي البغدادي : (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي)، المتوفى سنة ٢٤٥هـ.
« المحبّر »
رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، اعتنت بتصحيحه د. إيلزه ليختن، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٤٩ - ابن هشام : (أبو محمد عبد الملك بن هشام)، المتوفى سنة ٢١٣هـ.
« سيرة النبي ﷺ »، ١٤ أجزءاً

تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٥٠ - الواقدي: (محمد بن عمر بن واقد)، المتوفى سنة ٢٠٧هـ
« المغازي والسير ».
تحقيق: د. مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٥١ - ياقوت الحموي: (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، المتوفى سنة ٦٢٦هـ
« معجم البلدان »، ٥ أجزاء
دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٥٢ - اليعقوبي: (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح)
« تاريخ اليعقوبي »، جزأين.
دار صادر، بيروت.

ثانيا: المراجع العربية:

٥٣ - أحمد: (محمد حلمي محمد)
« الخلافة والدولة في العصر العباسي »

مكتبة الشباب، إعادة الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥٤ - ،، ،، ،، ،، : « الخلافة والدولة في العصر الأموي »
مكتبة الشباب، إعادة الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٤م.

٥٥ - **إسماعيل** : (عز الدين)
« في الأدب العباسي »
دار النهضة العربية، طبعة ١٩٧٥م.

٥٦ - **حسن** : د. (حسن إبراهيم)
« تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي »
مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م.

٥٧ - **حمادة** : د. (محمد ماهر)
« الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي »
دار النفائس.

٥٨ - الخضري : (محمد)
« تاريخ الأمم الإسلامية والدولة الأموية »
دار الفكر العربي .

٥٩ - ،، ،، ،، ،، : « تاريخ الأمم الإسلامية والدولة العباسية »
المكتبة التجارية الكبرى، طبعة ١٩٧٠م .

٦٠ - خطاب : اللواء : (محمود شيت)
« قادة فتح بلاد فارس »
دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٤م .

٦١ - خليفة : د . (حسن)
« الدولة العباسية قيامها وسقوطها »
الطبعة الأولى، ١٩٣١م . القاهرة .
(شاه عبدالعزيز غلام حكيم)

٦٢ - الدهلوي: « مختصر التحفة الاثني عشرية »
اختصار : السيد محمود شكري الآلوسي،
تحقيق : محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية،
القاهرة .

٦٣ - الـــزركـــلـــي : (خير الدين)
« الأعلام »
دارالعلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

٦٤ - أبـــو زهـــرة : (محمد)
« الإمام زيد »
دار الفكر العربي

٦٥ - زيـــــــدان : (جورجي)
« أبو مسلم الخراساني »
دار الهلال، القاهرة.

٦٦ - ســـــالـم : د. (السيد عبد العزيز)
« دراسات في تاريخ العرب والعصر العباسي الأول »
مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٦٧ -،، ،، ،، ،، : « التاريخ والمؤرخون العرب »
مؤسسة شباب الجامعة، طبعة ١٩٨١م.

٦٨ -،، ،، ،، ،، : « دراسات في تاريخ الدولة العربية »
مؤسسة شباب الجامعة.

٦٩ - سليمان : د. (حسين محمد)
« الدولة الإسلامية في العصر العباسي والعلاقات السياسية مع الأمويين والفاطميين »
دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٧٠ - شاكر : (محمود)
« التاريخ الإسلامي والدولة العباسية »
المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٧١ - ،، ،، ،، ،، : « خراسان »
المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧٢ - شاكر : (مصطفى)
« التاريخ العربي والمؤرخون »
دارالعلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٧٣ - الشريف : د. (أحمد إبراهيم)
« العالم الإسلامي في العصر العباسي »
دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م.

٧٤ - طعيمة : د. (صابر)
« دراسات في الفرق »
مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧٥ - طلس : د. (محمد أسعد)
« تاريخ العرب »
دار الأندلس، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٧٦ - ظهير : (إحسان إلهي)
« الشيعة والقرآن »
إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة السادسة.

٧٧ - ،، ،، ،، ،، : « الشيعة والتشيع (فرق وتاريخ) »
إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٧٨ - ،، ،، ،، ،، : « الشيعة وأهل البيت »
إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان

٧٩ - العسلي : (بسام)

« معاوية بن أبي سفيان »
دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م.

٨٠ - العقيلي : (عمر سليمان)
« خلافة معاوية بن أبي سفيان »
الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨١ - العقاد : (عباس محمود)
« معاوية بن أبي سفيان »
المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٨٢ - العمرو : (علي عبد الرحمن)
« أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول »
الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٣ - عمر : د. (فاروق)
« بحوث في التاريخ العباسي »
دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

٨٤ - ،، ،، ،، ،، : « طبيعة الدعوة العباسية »
دار الإرشـــاد، بيـــروت، الطبـــعـــة الأولى، ١٣٧٩هـ/ ١٩٧٠م.

٨٥ - ،، ،، ،، ،، : « العباسيون الأوائل »
الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٨٦ - الغـضـبـان : (منير محمد)
« معاوية بن أبي سفيان »
دار القلم، دمـشق، الطبـعـة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٨٧ - غـنـيـم : د. (عبد العزيز)
« دور العباسيين في طلب الخلافة »
دار الوفاء للطباعة، طبعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٨ - ،، ،، ،، ،، : « فلسفة السيرة »
دارالوفاء للطباعة، طبعة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٩ - كـحـالة : (عمر رضا)
« العالم الإسلامي »

الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩٠ - ماجد : د. (عبد المنعم)
« التاريخ السياسي للدولة العربية »
مكتبة الأنجلو المصرية

٩١ - النبراوي : د. (فتحية عبد الفتاح »
« دراسة في عصر الخلفاء الراشدين »
الإدارة العامة لكليات البنات، طبعة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩٢ - النجار : د. (محمد الطيب)
« الدولة الأموية في الشرق بين عوامل البناء وعومل الفناء»
دار الاعتصام، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة إلى العربية :

٩٣ - بروكلمان : (كارل)
« تاريخ الشعوب الإسلامية »
ترجمة : نبيه أمين فارس، منير البعلبكي

دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٩٤ - فلهـــوزن : (يوليوس)
« تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية »
ترجمة: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، د. حسين مؤنس، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، طبعة ١٩٦٨م.

٩٥ - ،، ،، ،، ،، : « الخوارج والشيعة »
ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.

٩٦ - ى : (أبيليا ييف)
« العرب والإسلام والخلافة العربية »
ترجمة: د. أنيس فريحة، راجعه وقدم له: د. محمود أبو زيد.
الدار المتحدة للنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

رابعا: الموسوعات :

٩٧ - شـلـبـي : د. (أحمد)

« موسوعة التاريخ الإسلامي »

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٢م.

٩٨ - غـريـال : (محمد شفيق)

« الموسوعة العربية الميسرة »

دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

* * *

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول	
العلاقة بين الأمويين وبين الهاشميين والعباسيين	
بين الهاشميين والأمويين في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ ...	٣
بين الهاشميين والأمويين في عهد الراشدين	١٦
بين العباسيين والأمويين	٣٠
الفصل الثاني	
مراكز الدعوة وجهازها السري	
استشراف العباسيين للخلافة	٣٧
مراكز الدعوة وجهازها السري	٤٨
الجهاز السري للدعوة	٥٨
الفصل الثالث	
الدعوة في مرحلتيها السرعة والجهرية	
المرحلة السرية للدعوة	
تحديد وقت الدعوة وأسباب اختياره	٨٢

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مناقشة الروايات التي تناولت ابتداء الدعوة	٨٥
الدعوة بين سنة مائة وسنة سبع وعشرين بعد المائة	٩٢
اكتشاف أبي مسلم ووضع مقاليد الدعوة بين يديه	٩٨
الدعوة الجهرية	
سير الدعوة ومناقشة الروايات التي رويت بذلك	١١٠
الفصل الرابع	
مرحلة الفتح وقيام الدولة العباسية	
مرحلة الفتح	١١٥
المعركة الأولى بين الفريقين	١١٦
الصراع بين المضريين واليمانيين وسياسة أبي مسلم تجاهها	١١٧
نحو مرو عاصمة الإقليم.....	١٢٢
مصير ابني الكرماني وشيبان الحروري	١٢٤
نهاية نصر ومتابعة الفتح	١٢٩
نحو الكوفة	١٣٩
تحقيق مقتل قحطبة	١٤١
خاتمة	١٥٧
قائمة بالمصادر والمراجع	١٧٧
الفهرس.....	٢٠١

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢